فَهم النَّص القُرآني

في ضوء اتجاهات التفسير المعاصرة

أحمد جاسم ثاني الركابي

دار الولاء
لصناعة النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾

(ص: ٢٩)

المحتويات

التمهيد

أولاً– القرآن الكريم رمزٌ لوحدة الأمة

١– وحي القرآن وتنزيله.

٢– فهم القرآن وتفسيره.

٣– إعجاز القرآن.

٤– لغة القرآن.

ثانياً– مصطلحات البحث الأساسية

١– فهم القرآن.

٢– تفسير القرآن.

٣– بين الفهم والتفسير.

٤– المنهج.

٥– الاتجاه.

٦– بين المنهج والاتجاه.

الفصل الأول

الاتجاه الموضوعي والمعاصرة القرآنية

مقاصد النزول أو أهداف النزول

التغيير هو الهدف المركزي للقرآن

دور الأهداف الثانوية في تحقيق الهدف المركزي

منهج التفسير الموضوعي والفهم المعاصر

الفصل الثاني

الاتجاه الأدبي بين المنهجين: البياني والبنائي

الاتجاه الأدبي في التفسير

منهج التفسير البياني

قواعد المنهج البياني

أدوات المفسر البياني
روّاد منهج التفسير البياني
١- الشيخ أمين الخولي.
٢- الدكتورة عائشة عبد الرحمن.
٣- الدكتور فاضل صالح السامرائي.
منهج التفسير البنائي
مسوغات التفسير البنائي
ميزة المنهج البنائي عن المنهج البياني
مثال تطبيقي
الفصل الثالث
الاتجاه اللغوي/ معجم (فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته) أنموذجاً
وصف المعجم
تطور المصطلح
تطور البحث اللغوي القرآني
ملحق:
مصطلح القراءات الحداثوية "المعاصرة"، الدلالة والنشأة
علم المصطلح
مصطلح (القراءة)
مصطلح (المعاصرة)
عوامل نشأة المصطلح
الخاتمة
المصادر

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين ... وبعد، فإن كتاب الله بين أيدينا، لا يبلى على كثرة القراءة والفهم والتحليل والتفسير، ولم يزل جديداً متجدداً إلى ما شاء الله تعالى، وقد تعددت اتجاهات الباحثين وتنوعت مناهج المفسرين في التعامل معه بتعدد اهتماماتهم الفكرية والمعرفية، ومنذ عصر نزول القرآن الكريم بدأ رسول الله (ص) بتوضيح آياته وتفسيرها لمن حوله من المسلمين، تارةً ببيان مفردة وتارة ببيان مقطع من آية وتارة أخرى بتبيان آية كاملة أو سورة كاملة بحسب ما يتطلبه الموقف، وقد واصل أئمة أهل البيت (ع) بعده هذا الطريق، فهم عدل القرآن وتراجمة الوحي، واستمر الصحابة والتابعون بتوضيح القرآن وتفسيره، وذلك لنشر تعاليمه وتبيان أحكامه للناس، وقد انتهج كل منهم المنهج الذي يتلاءم مع توجهه الفكري، فظهرت مناهج عدة كان أبرزها منهج التفسير بالمأثور الذي يعتمد في فهم القرآن وتفسيره على الأحاديث والروايات المنقولة عن رسول الله وأهل بيته (ع)، كما ظهر منهج التفسير بالرأي، وهو ممنوع بطبيعة الحال، ثم تلته مناهج أخرى، كمنهج تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج العقلي والمنهج الفلسفي والمنهج الفقهي ... إلخ.

وهذا الكتاب يسلط الضوء على الاتجاهات المعاصرة في فهم القرآن وتفسيره، ممهداً بالحديث عن فضل القرآن الكريم، ودوره في توحيد الأمة الإسلامية، وتوضيح المصطلحات الأساسية التي تشكّل مفاتيح البحث، أما فصول الكتاب فكانت حول الاتجاهات التفسيرية المعاصرة وآلية تعاملها مع النص القرآني، وهي كل من الاتجاه الموضوعي، والاتجاه الأدبي، والاتجاه اللغوي، واختتم بملحق عن مصطلح القراءات الحداثوية المعاصر.

التمهيد:

أولاً– القرآن الكريم رمزٌ لوحدة الأمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/٩٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((إذا أُلبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفّع، وماحل مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل ... وهو الفصل ليس بالهزل))[1].

فمن نعم الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية أنها أمة واحدة، وأن مذاهبها تلتقي في مشتركات كثيرة ومهمة، تعبّر عن وحدتها، فهم يعتقدون بالله الواحد الذي لا شريك له، وبالرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، وبالكتاب الواحد وهو القرآن الكريم، ومودة أهل البيت (عليهم السلام)، كما أنهم يحجون بيت الله الحرام جميعاً حجاً واحداً، ويصلّون خمس فرائض في اليوم نحو قبلة واحدة وهي الكعبة المشرفة، فضلاً عن اشتراكهم بصيام شهر رمضان، والزكاة والخمس والجهاد وغيرها من المسائل الرئيسة المتفق عليها بين المسلمين، وإن كانوا قد يختلفون في بعض تفاصيلها، ومن أجل تعزيز هذه الوحدة لابد من إبراز نقاط الالتقاء والابتعاد عن التفاصيل المختلف فيها.

وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى توحيد كلمتها وموقفها عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران/١٠٣)، والحذر من مغبة قوله عز وجل: ﴿ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال/٤٦)، ونظراً إلى خطورة الأمر، وما يترتب عليه من آثار فقد حذرنا النبي (صلى الله عليه وآله) من التفرّق في أحاديث كثيرة، منها قوله

---

[1] – بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٧/٨٩.

(صلى الله عليه وآله): ((فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))[1].

فإن من أهم المشتركات بين المسلمين ومرجعهم الأول، هو كتاب الله العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/٤٢)، ومن المعروف بين المسلمين صيانة القرآن وعدم وقوع التحريف فيه[2]، ومسألة حفظه تكفّل بها الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩).

فضلاً عن ذلك فهو مصدر علمهم، ومصدر حكمهم، ومصدر وحدتهم، كما قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): ((ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَلَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ لَعَلَّمْتُكُمْ))[3].

ومادام القرآن الكريم على النحو الذي بيّنه لنا الله تعالى، ورسوله الكريم وأهل بيته من عمله الدائب على وحدة صفوف المسلمين، واجتماع كلمتهم، وتآلف قلوبهم، وكونه أصلاً في ذلك، فلا غرو أن يأمر الله المسلمين – إن وقع بينهم خلاف أو دبّ بينهم نزاع – أن يرجعوا إلى كتاب ربهم بإخلاص، ففي ذلك رفع للخلاف، وقطع للنزاع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء/٥٩).

فالقرآن مرجع لوحدة المسلمين، ومن أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها التقريب بينهم، فالمسلمون متفقون نظرياً على هذا المرجع، ولكنهم لا يلتزمون به عملياً أحياناً، فهم يتفقون جميعاً على هذا الكتاب الموجود الآن بين المسلمين ويعتبرونه وحياً نازلاً على الرسول

---

[1] – الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني: ٢٧٣/١٠.

[2] – ينظر: البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي: ٢٠٠.

[3] – الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ٦١/١.

الكريم (صلى الله عليه وآله) بنصّه دون زيادة أو نقيصة[1]، فالاتفاق على هذه المرجعية نظرياً بين المسلمين يستدعي الاتفاق عليها عملياً، وعندما يختلف المسلمون في رأي من الآراء، فعليهم الرجوع إلى المتفق عليه بينهم دون أن يتخذوا موقفاً تفسيرياً مسبقاً يناصر رأي هذا المذهب أو ذاك[2].

والوحدة الإسلامية لا تعني ترجيح أحد المذاهب على الآخر أو حذف المفترقات وإبقاء المشتركات بين المذاهب، لينشأ من ذلك مذهب جديد يختلف عن الجميع، بل إن الوحدة الإسلامية تعني وقوف المسلمين صفاً واحداً بوجه تخرصات الأعداء ضد الإسلام والمسلمين على الرغم مما بينهم من الاختلاف في المسائل الفرعية[3].

فهو يوحّد المسلمين في شكله ومضمونه، وفي فهمه وتفسيره، وفي الهدف من نزوله وغيرها من النقاط التفصيلية. أما من حيث الشكل فالمسلمون جميعاً متفقون على هذا الكتاب الذي بين الدفتين، ابتداءً من سورة الحمد وانتهاءً بسورة الناس بلا زيادة ولا نقصان، وبالترتيب المتعارف عليه بين المسلمين، وبعدد السور المعروف (١١٤ سورة)، وبعدد الآيات المعروفة لكل سورة من سوره المباركات. وأما من حيث المضمون فإن القرآن الكريم يحثّ على الوحدة الإسلامية ووحدة الأمة في كثير من المواقع، وإذا ما أجرينا استقراءً لآيات القرآن الكريم يتضح لنا ذلك جلياً ، قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة/٤٨).

---

[1] – ينظر: حوارات، السيد محمد باقر الحكيم: ١٢٤/٢.

[2] – ينظر: المصدر نفسه: ١٢٥.

[3] – ينظر: ربع قرن مع العلامة الأميني، حسين الشاكري: ٢٧٤-٢٧٥.

فالوحدة الإسلامية من العناوين الرئيسة التي نادى بها الإسلام وثبَّتها ومجَّدها، بل منَّ الله تعالى على المسلمين أن وحَّدهم بعد أن كانوا أشتاتاً، وألَّف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداءً[1]، وحذّرهم من عقوبة التفرقة والاختلاف، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ... وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران/١٠٢-١٠٥).

فقد تناول القرآن موضوع الوحدة والاختلاف بشكل واسع، وتناول أسباب الاختلاف وعوامله، وقدّم العلاج له، كما تناول موضوع الوحدة وأسسها، والطرق والأساليب التي يمكن في ضوئها الوصول إلى الوحدة والاتفاق[2]. ومن أبرز نقاط التقاء المسلمين هي:

١- وحي القرآن وتنزيله:

الوحي هو ((مصطلح قرآني من أعرق وأهم المصطلحات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة، ويشكل الإيمان به القاعدة الأساسية للإيمان بالأنبياء والرسل "عليهم السلام"))[3].

ويرى الباحثون في علوم القرآن من المسلمين أن القرآن الكريم نزل بوحي من الله تعالى على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله)، وليس للنبي دخل في ذلك[4]، فهو كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم/٣-٤)؛ لذلك تكررت عبارة

---

[1] - ينظر: الإسلام هو الحل، الشيخ جعفر حسن عتريسي: ٢٩.

[2] - ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، السيد محمد باقر الحكيم: ٤١.

[3] - القرآن في مدرسة أهل البيت (ع)، السيد هاشم الموسوي: ٦.

[4] - ينظر: مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح: ٢٢، وتلخيص التمهيد، الشيخ محمد هادي معرفة: ٢٤.

"قل" أكثر من ثلاث مئة مرة في القرآن، ليتأكد للناس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا دخل له في الوحي، فلا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه، وإنما يُلقى إليه الخطاب إلقاءً، فهو مخاطب لا متكلم[1]. وأوضح برهان على أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو القرآن نفسه الذي نزل على النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنه ليس فيه أي تغيير أو تحريف، هو أن الأوصاف والمميزات التي وصف بها القرآن المجيد نفسه ما زالت حتى الآن باقية وأنه كما كان[2]. كما يرون أن نزوله بدأ في ليلة القدر، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر/١)، ثم استمر منجماً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً على الأصح[3].

٢- فهم القرآن وتفسيره:

وقد حظيت مسألة فهم القرآن بعناية المفسرين والباحثين في الدراسات القرآنية على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقائدية، ومنذ الصدر الأول للإسلام وإلى يومنا هذا، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) المفسر الأول للقرآن الكريم، ومن بعده أهل بيته (عليهم السلام)[4].

وفي هذا المجال لابد من معرفة الهدف من نزول القرآن، فإنه يعيننا على فهم آياته؛ لأنه يُلقي بظلاله على المعنى القرآني، وتُعد هذه المعرفة إحدى القرائن العامة المنفصلة التي تكتنف النص، وتؤدي إلى تفاعل المسلمين مع القرآن وعنايتهم به، وذلك بحفظ نصه وسلامة تركيبه وفهم مضمونه والتعرُّف على هديه وتلاوته[5].

---

[1] - ينظر: مباحث في علوم القرآن/ الصالح: ٣٠.

[2] - القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٤٨.

[3] - ينظر: مباحث في علوم القرآن/ الصالح: ٥٠، وتلخيص التمهيد: ٧٢.

[4] - ينظر: منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرقي: ١٨٣.

[5] - ينظر: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم: ٤٩ – ٥٠.

ولا خلاف بين المسلمين في فهم الهدف العام لنزول القرآن، فقد نزل من أجل هدف رئيس ألا وهو الهداية والتزكية والتغيير، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٢)، وقال:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء/٨٢). وأما دون ذلك من أهداف ثانوية أخرى فهي تصب في خدمة الهدف المركزي[١].

٣- إعجاز القرآن:

كان الأنبياء في الأديان السابقة يأتون بمعجزات تتناسب مع زمانهم، كما هو الحال في معجزات إبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام)، ولكن الأمر المسلّم به هو أن معجزات هؤلاء الأنبياء كانت تختص بزمانهم ولا تتعدى إلى أزمنة أخرى، وأما معجزة الإسلام الذي بدأ ببعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فقد كانت من نوع آخر، فمعجزته خالدة منذ أن بدأت الرسالة وحتى القيامة[٢]. وقد اتفق جميع علماء المسلمين على أن القرآن هو كتاب معجز، وقد تحدى الله تعالى العرب بأن يأتوا بمثله أو عشرة سور أو سورة واحدة، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور/٣٣-٣٤)، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك.

٤- لغة القرآن:

لاشك أن القرآن الكريم له فضلٌ على سائر الكلام كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((فَضْلُ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ))[٣]، فهو كلام مقدّس بلا شك، ومعجز بلغته التي احتوت على المفردات والتراكيب والنصوص التي لا يضاهيها أي تعبير آخر مهما بلغت درجته التعبيرية، ويتمثل بانتقاء المفردات والتراكيب، وطبيعة الموقع

---

[١] - ينظر: علوم القرآن: ٦٣.

[٢] - ينظر: إعجاز القرآن، د. رضا مؤدب: ٢٤-٢٥.

[٣] - بحار الانوار: ١٩/٨٩.

الذي تحتله كل مفردة في السياق القرآني وفي تركيب الجمل، إذ يتناغم موقع كل مفردة مع المفردات الأخرى من جانب، ومع التراكيب من جانب آخر، وتشكّل إيقاعاً خاصاً يعجز عنه الوصف، فلا يمكن أن يتحدّث عنه الناقد أو الباحث بشكل يستطيع من خلاله أن يوصل جمالية هذه اللغة إلى الأذهان[1].

ومن المعلوم أن الإعجاز اللغوي للقرآن يُعد من أبرز الوجوه التي تميّز بها القرآن الكريم، إذ كانت البيئة التي نزل فيها هي بيئة لغوية فصحى، والعرب آنذاك هم أرباب اللغة، ومع ذلك انبهروا حينما سمعوا لغة القرآن، فلغته وجاذبيته العجيبة هي التي جعلت (الوليد بن المغيرة) يقول في القرآن: ((واللهِ لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يُعلى))[2].

وقد كثرت الدراسات اللغوية في النص القرآني ابتداءً من زمن النزول على يد الصحابي عبد الله بن عباس وإلى يومنا هذا، فالدراسات اللغوية للنص القرآني لم تكن حكراً على مذهب دون آخر، بل نجد أن جميع مذاهب المسلمين اعتنت بدراسته وابراز فنونه اللغوية المختلفة من بلاغة ونظم وصوت وصرف ونحو ودلالة وغيرها من الأبواب اللغوية المختلفة، وكلهم يجمعون على فضله من الناحيتين اللغوية والمعنوية.

---

[1] – ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د. محمود البستاني: ٢١٢.

[2] – بحار الأنوار: ١٦٨/١٨.

ثانياً– مصطلحات البحث الأساسية:

١– فهم القرآن: الفهم لغةً: ((معرفتك الشيء بالقلب ... وفهمتُ الشيء: عقلتُه وعرفته))[١]، أو هو: ((حسنُ تصور المعنى. وجودة استعداد الذهن للاستنباط))[٢].

ويُراد من **فهم القرآن** العلم بمعاني آيات القرآن الكريم ومقاصدها وأغراضها، وما يتعلق بها من أهداف، بغض النظر عن درجة الإدراك لتلك الأمور، فيصدق لمن يفهم بعض آيات القرآن بشكل جزئي – وإن اقتصر على ظواهر الألفاظ – أن له فهماً في القرآن الكريم، ويصدق أيضاً على من له فهم أكبر من ذلك أن له فهماً في القرآن الكريم[٣].

وقد حظيت مسألة فهم القرآن بعناية المفسرين والباحثين في الدراسات القرآنية على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقائدية، ومنذ الصدر الأول للإسلام وإلى يومنا هذا[٤]، وفي هذا الصدد يقول السيد الخوئي: ((وجدير بالمسلم الصحيح، بل بكل مفكر من البشر أن يصرف عنايته إلى فهم القرآن، واستيضاح أسراره، واقتباس أنواره، لأنه الكتاب الذي يضمن إصلاح البشر، ويتكفل بسعادتهم وإسعادهم))[٥].

وينبغي على من يريد فهم القرآن الكريم أن يعلم أن النظر إلى الجملة القرآنية أو المقطع القرآني وحده لا يكفي، بل كثيراً ما يحتاج فهم هذا المقطع أو تلك الجملة إلى مقارنة بغيره مما جاء في القرآن، فضلاً عن الحاجة إلى تحديد الظروف والملابسات[٦]، وهو ما يُعبر عنه

---

[١] – لسان العرب، ابن منظور، (فهم): ٤٥٩/١٢.

[٢] – المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، (فهمه): ٧٠٤/٢.

[٣] – ينظر: فهم القرآن الكريم، (بحث) سعيد حماد، مجلة مآب، س٢، ع٧، حزيران/٢٠٠٨: ٦٤.

[٤] – ينظر: منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن: ١٨٣.

[٥] – البيان في تفسير القرآن: ١١.

[٦] – ينظر: علوم القرآن: ٢٣٦.

بالسياق القرآني بنوعيه؛ اللغوي وغير اللغوي، كما ينبغي أن يكون فهم القرآن متصلاً بالواقع المعاش، وإلا فهو فهم ميت[1].

ولما أنزل الله تعالى القرآن لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فقد جعل للإنسان القدرة على فهمه واستخراج معارفه، ولكن بتعدد مراتب الفهم، فالمعصوم يفهمه الفهم الحقيقي الذي لا لبس فيه، وأما عامة الناس فيفهمونه على قدر استيعابهم[2]، يقول السيد محمد باقر الصدر: ((إن منطق الشريعة الخالدة الكاملة يقتضي تأمين الوصول إلى فهم القرآن ومعرفة تفسيره وفقه أحكامه، بصفته المصدر الأساس لهذه الشريعة الخالدة وإن تحكيم القرآن في البلاد والعباد هو ما أمرنا الله تعالى به))[3].

٢- تفسير القرآن: التفسير لغةً: من فَسَرَ الشيء فَسْراً، بمعنى وضحَهُ، و(التفسير)، بمعنى الشرح والبيان[4]. وتفسير القرآن: ((من العلوم الإسلامية، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحِكَم، وأحكام))[5].

ويعرف **منهج التفسير** بأنه: ((الطريقة التي يسلكها مفسر كتاب الله عز وجل، على وفق خطوات مرتبة يسير عليها للوصول إلى تحقيق تفسير الكتاب وفقاً لمجموعة من الأفكار يعنى بتطبيقها، وإبرازها من خلال تفسيره))[6].

---

[1] - ينظر: التدبر في القرآن، السيد محمد رضا الشيرازي: ٩/١.

[2] - ينظر: منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن: ١٨٣.

[3] - نشأة التشيع والشيعة، السيد محمد باقر الصدر: ١٣٠.

[4] - ينظر: المعجم الوسيط، مادة (فَسَرَ): ٦٨٨/٢.

[5] - المصدر نفسه، مادة (فَسَرَ): ٦٨٨/٢.

[6] - دروس في التفاسير ومناهج المفسرين، فارس علي العامر: ١٨.

بين الفهم والتفسير

يُعد فهم القرآن مقدمة لتفسيره، ومن لا يمتلك فهماً للقرآن لا يمكنه أن يفسره، فالتفسير نتيجة تطبيقية لبعض مراتب الفهم لدى المفسر[١]، وبناءً على ذلك يكون الفهم أعم من التفسير؛ وذلك لأن الفهم من دون تفسير أمر ممكن بإدراك معاني القرآن ومقاصده فحسب، بيد أنه لا يمكن تفسيره من دون فهمه[٢].

ومن الشروط الواجب توفرها فيمن يتصدى للتفسير أن يفهم القرآن ويفسره بذهنية إسلامية، فينظر إلى القرآن على أنه كتاب إلهي، أُنزل للهداية وبناء الإنسانية، وهذا الأساس هو الطريق الوحيد لإمكان فهم القرآن وتفسير ظواهره بشكل صحيح[٣]، و((أن يكون لدى المفسر تصور عام عن القرآن وكيفية نزوله والأسلوب الذي اتبعه في (عملية التغيير) ومنهجه في طرح القضايا والأحداث من قبيل أن يعرف المفسر (إجمالاً) أن في القرآن الكريم ناسخاً ومنسوخاً، فإن هذه الفكرة ذات أثر كبير في فهم القرآن وإمكانية تفسير بعضه ببعض))[٤]، وهو ما يُعبر عنه بروح القرآن الكريم العامة، التي تمثل أصلاً في فهم القرآن وتفاصيله، فضلاً عن أنها تمثل قرينةً على فهم هذا النص أو ذاك من القرآن الكريم[٥]، على أن يكون الإطار العام لفهم القرآن مستنداً إلى خلفية عقائدية صحيحة ومستنبطة من القرآن الكريم نفسه، وأن يفهم المفسر أن القرآن الكريم هو وحي إلهي وله ذاك الهدف المشخَّص؛ وهو هدف التغيير الاجتماعي الجذري[٦].

---

[١] – ينظر: فهم القرآن الكريم: ٦٤.

[٢] – ينظر: منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن: ١٨٣.

[٣] – ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر: ٣٠٩.

[٤] – تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم: ٣٧.

[٥] – ينظر: المصدر نفسه: ١١٠.

[٦] – ينظر: المصدر نفسه: ١١٤.

٣- المنهج: المنهج في اللغة: من نَهَجَ الطريق نهجاً، بمعنى وضح واستبان، و(المنهَجُ) بفتح الميم وكسرها، بمعنى المنهاج، وجمعها (مناهج)[١]. وقد وردت في القرآن الكريم بلفظة (المنهاج)، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

٤- الاتجاه: ويقصد به ((تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية، وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكون على أساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصّص المفسر))[٢].

بين المنهج والاتجاه

يختلف **المنهج** عن **الاتجاه** من وجوه عدة؛ فالبحث في المنهج ينظر إلى كيفية كشف المعنى ومقصود الآية، أما البحث في الاتجاه فينظر إلى اعتقادات المفسر وأذواقه وميوله، التي تعطي التفسير وجهة محددة، وتطبعه بطابع خاص، ومن جهة أخرى فإن البحث في المنهج يتشكّل على أساس المصادر والأدوات التفسيرية، مثل استعمال العقل والروايات، في حين أن البحث في الاتجاه يكون في نص التفسير، بأي أسلوب كُتِب ؟ وما أكثر المطالب التي يتضمنها من مسائل كلامية، أو أدبية، أو غيرها[٣].

---

[١] - ينظر: أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مادة (نهج): ٧٨٠، والمعجم الوسيط، مادة (نهج): ٢ / ٩٥٧.

[٢] - مناهج التفسير واتجاهاته، محمد علي الرضائي: ١٧-١٨.

[٣] - ينظر: المصدر نفسه: ١٨.

الفصل الأول

الاتجاه الموضوعي والمعاصرة القرآنية

تميزت التفاسير الحديثة بالواقعية والشعور بالمتطلبات الراهنة فتجاوزت المعاني المجردة، واتجهت نحو الواقع لتلامس أحواله وظروفه الآنية، وتستنطق القرآن الكريم في شأنها؛ لأن القرآن دستور الحياة، وفيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي هذا الفصل نحاول التعرف على فهم القرآن في ضوء اتجاه التفسير الموضوعي، الذي يرتكز على فهم مقاصده والكشف عن أهدافه، وهو منهج أقام صرحه السيد محمد باقر الصدر، وطبقه في دراساته القرآنية التي عالجت كثيراً من الحاجات المعاصرة للمسلمين، انطلاقاً من أن القرآن هو كتاب الإسلام، والإسلام يقود الحياة، ويعالج قضايا الإنسان المعاصرة.

أما مصطلح (المعاصرة) في فهم القرآن وتفسيره فيراد منه: ((ضرورة التوفر على أسلوب تفسيري جديد يُراعي الذهنية الموجودة ومستوى الثقافة العامة في مجتمعاتنا، ويأخذ قضايا الواقع بنظر الاعتبار))[1].

والفهم المعاصر للقرآن لابد أن يخضع لمقاصد القرآن أو ما يُسمى بالهدف من نزول القرآن، لما له من أهمية في استنطاق القرآن والوصول إلى مقاصده التغييرية التي تحاكي الواقع الاجتماعي المعاش، وتعالج مشكلاته المستجدة.

مقاصد النزول أو أهداف النزول

يمكن أن نعرِّف مقاصد نزول القرآن بأنها الغايات والأهداف التي نزل من أجلها القرآن الكريم على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما انطوت عليه آياته وقصصه من دروس وعبر، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، عبر أسلوب الهداية والتغيير.

ويعد موضوع مقاصد النزول من أهم الموضوعات القرآنية والبحوث التفسيرية التي يمكن للباحث أن يقف عندها كما يقف عند بحث التوحيد أو النبوة أو السنن التاريخية في

[1] – المعاصرة القرآنية (بحث)، جواد علي كسار، كتاب دراسات قرآنية الصادر عن مجلة المنهاج: ١٨٦.

القرآن... إلخ؛ وذلك لأن القرآن تحدث عن القصد من نزوله من خلال آياته كما تحدث عن الموضوعات الأخرى[1].

ولتشخيص مقاصد نزول القرآن لابد من الرجوع إلى القرآن نفسه، واستعراض الآيات التي تفسّر نزوله، فهناك مجموعة كبيرة من الآيات الكريمة والظواهر القرآنية التي من شأنها أن تلقي الضوء على الهدف من نزول القرآن، ولكن هذه الآيات قد تبدو وكأنها تنطوي على أهداف متعددة أو مختلفة، ومن جملتها[2]:

١ – الإنذار والتذكير: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ (الأنعام/١٩).

٢ – ضرب الأمثال والعبر والدروس: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الإسراء/٨٩).

٣ – إقامة الحجة والبرهان والمعجزة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء/١٧٤).

٤ – بيان تفاصيل الشريعة الإسلامية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل/٨٩).

٥ – حل الاختلاف، والتفريق بين الحق والباطل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل/٦٤).

٦ – تصديق الرسالات السابقة وتكميلها: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

---

[1] – ينظر: تفسير سورة الحمد: ٦٦.

[2] – ينظر: علوم القرآن: ٥٠ – ٥٣، وتفسير سورة الحمد: ٧٠ – ٧٤.

٧ – بيان الفصول التاريخية لتطور حركة الإنسان وقصص الأنبياء: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف/٢-٣).

٨ – إعطاء التصور الكامل عن الكون والحياة، كما في الآيات التي تناولت أصل مسيرة الإنسان، وعلاقتها بالمبدأ، وبداية هذه المسيرة ونهايتها، وكيف يتكامل الإنسان فيها، وكيف يتسافل، الأمر الذي قد يكشف عن أن بيان هذه الحقائق هو الهدف من نزول القرآن.

٩ – إنزال الهداية والرحمة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٢)، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء/٨٢).

وفي ضوء استعراض هذه الأهداف الثانوية والمقارنة فيما بينها، يمكن أن يتحدد الهدف المركزي والأساس الذي نزل القرآن من أجل تحقيقه، وأسهمت الأهداف الأخرى بشكل أو بآخر في تحقيقه، وهذا الهدف المركزي هو (تغيير الناس) وإخراجهم من الظلمات إلى النور[١]، ولعل أروع ثنائية انطوت عليها عشرات الآيات القرآنية هي مصطلحا "الظلمات والنور"، فالتعبير القرآني يتميز باستيعاب وعمومية يتمكن بهما من اجتياز كل زمان ومكان، ويصلح ليكون أعظم آلية لتقويم سلوك الإنسان وحركة التاريخ[٢].

وقد سعت الظاهرة القرآنية بوجودها إلى تحقيق هذا الهدف المركزي، إذ أنه يفسر لنا كل آية في القرآن الكريم مهما كان مضمونها ومحتواها وصيغتها[٣].

---

[١] – ينظر: تفسير سورة الحمد: ٧٥.

[٢] – ينظر: فلسفة مرجعية القرآن المعرفية في إنتاج المعرفة الدينية، نجف علي ميرزائي: ١٤٨.

[٣] – ينظر: علوم القرآن: ٥٢.

التغيير هو الهدف المركزي للقرآن

التغيير لغةً: هو إحداث شيء لم يكن من قبل بالصورة نفسها التي أصبح عليها بعد التغيير الذي طرأ عليه، فمثلاً تقول: غيّرت الشيء؛ بمعنى بدّلت به غيره[١]. ((والتغيير يقال على وجهين، أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال غيرت داري إذا بنيتها بناء غير الذي كان. والثاني: لتبديله بغيره نحو غيرت غلامي ودابتي إذا أبدلتهما بغيرهما ...))[٢].

أما في الاصطلاح القرآني؛ فهو ((تغيير الحالة التي عليها الناس تغييراً جذرياً، بحيث يبدل حالتهم من الظلمات إلى النور))[٣].

فالمعنى القرآني لمفردة "التغيير": هو جعل شيء سوى حالته الأولية وهو الأصل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١١)، وقال: ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال/٥٣)، فإن الرحمة والنعمة واللطف إنما تنزل من الله تعالى بحسب اقتضاء المحل ومقدار السعة فيه، وعلى وفق الاستعداد والقابلية[٤]، ولا يخفى بأن البناء الاجتماعي بدون إجراء التغيير الداخلي في نفوس الأفراد وعاداتهم، يصبح عبثياً كالبناء بدون قاعدة[٥].

وهذا الهدف المركزي يكشف عنه السياق القرآني، فإن مراعاة السياق وترابط الآيات بعضها ببعضها الآخر والارتباط بين بعض الفصول والمقاطع في السورة الواحدة، من شأنه أن يؤدي إلى معرفة الأهداف القرآنية والمقاصد الربانية لنزول الآيات في عملية التغيير

---

[١] – ينظر: لسان العرب، (غير): ٦/٧٢٧، والمعجم الوسيط، (غَارَهُ): ٢/٦٦٨.

[٢] – المفردات في غريب القرآن، (غير): ٣٦٨.

[٣] – تفسير سورة الحديد، السيد محمد باقر الحكيم: ١٠٦.

[٤] – ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي: ٧/٢٩٥.

[٥] – ينظر: دور العقيدة في بناء الإنسان، مركز الرسالة: ٦٠.

الاجتماعي، والإخراج من الظلمات إلى النور[1]. وهو ما يقوم به منهج التفسير الموضوعي أو بحث الوحدة الموضوعية ولذلك يسمى بالمنهج الكشفي[2].

دور الأهداف الثانوية في تحقيق الهدف المركزي

وفي ضوء تفسير الهدف الرئيس للقرآن يمكن فهم دور الأهداف الثانوية الأخرى، وإسهامها في تحقيق الهدف المركزي، وموقعها من هذا الهدف[3].

فإن (**الإنذار والتذكير**) لا يمكن أن يكون هو الهدف الرئيس لنزول القرآن، لأنه ذُكِر في آيات من القرآن الكريم في سياق مجموعة أهداف أخرى[4]، كما في قوله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/٢١٣)، فالإنذار هنا ((ليس هو الهدف الرئيس والوحيد، بل هو واحد من الأساليب المهمة الأساسية والمساعدة في تحقيق هدف النزول الرئيس، وهو هدف تغيير الجماعة البشرية تغييراً جذرياً، وهو وضعهم على السراط المستقيم))[5].

وكذلك هدف (**ضرب الأمثال**)، وهدف (**إقامة الحجة والبرهان**)، لا يكونان هدفين رئيسين؛ لأنهما يدخلان ضمن هدف (الإنذار)، ويشكلان أفضل وسيلة له، ومثلهما الأهداف الأخرى، فكلٌ منها لا يمكنها أن تكون هدفاً رئيساً بل جاءت لخدمة الهدف الرئيس ومرتبطة به، ومن ذلك يتبين أن كل الأهداف الأخرى – على أهميتها – إنما هي

---

[1] – ينظر: تفسير سورة الحمد: ٧.

[2] – ينظر: أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر، أحمد عبد الله أبو زيد: ٣٣.

[3] – ينظر: علوم القرآن: ٥٩.

[4] – ينظر: تفسير سورة الحمد: ٨٥.

[5] – المصدر نفسه: ٨٥ – ٨٦.

أهداف فرعية بالنسبة إلى الهدف الرئيس وتسهم في تحقيقه بشكل كبير، وهو ما حصل بالفعل في تاريخ القرآن[1].

منهج التفسير الموضوعي والفهم المعاصر

لم يكن القرآن الكريم محدداً بعصر واحد، وإنما هو كتاب هداية تجاوز حدود الزمان والمكان، وقد نجحت التفاسير المعاصرة[2] في مخاطبة أبناء عصرها باللغة التي تناسب الأغلبية الساحقة منهم، إذ لا ينكر أن التفاسير القديمة تكاد تكون مقصورة على أصحاب التخصص لما اشتملت عليه من بحوث معقدة في اللغة والفقه والكلام وغيرها من العلوم التي يتعسّر فهمها على غير المتخصصين، ومن المزايا المهمة في التفسير الناجح هي مخاطبة عموم الأمة لا خصوص طبقة معينة فيها، وهذه المزية تُعد من أهم مزايا التفاسير الحديثة[3].

ومن هذه التفاسير تجربة السيد محمد باقر الصدر الذي اتبع المنهج الموضوعي في التفسير وأصّل له نظرياً، فجاءت هذه النظرية مكتملة الأدوات على يديه، ومحددة التسمية بالتفسير الموضوعي[4].

والتفسير الموضوعي أو التوحيدي هو المنهج الذي ((لايتناول تفسير القرآن آية فآية بالطريقة التي يمارسها التفسير التجزيئي، بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية))[5]، مستهدفاً بذلك تحديد موقف

---

[1] – ينظر: علوم القرآن: ٦٣.

[2] – للمزيد من الاطلاع على المناهج التفسيرية المعاصرة ينظر: دراسات في تفسير النص القرآني، مجموعة من الباحثين: ١/٣٥١-٣٦٨.

[3] – ينظر: حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي، صائب عبد الحميد: ٦٢.

[4] – ينظر: دراسات في تفسير النص القرآني: ١/٢٠٤.

[5] – المدرسة القرآنية: ٢٣.

نظري للقرآن الكريم، ومن ثم للرسالة الإسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون[1].

ويُعد هذا المنهج وسيلةً ضرورية لتقديم القرآن تقديماً علمياً منهجياً للإنسان المعاصر، كما يتكفل بحاجته إلى الدين عموماً، وإلى الإسلام والقرآن خصوصاً، وفي الوقت نفسه يحقق مقاصد القرآن الأساسية[2].

فالمفسر يفهم القرآن في ضوء مقاصد النزول، وواقع الحياة، ويركّز على موضوع من موضوعاتها العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية فيطرحها بين يدي القرآن وبالتحاور معه واستنطاقه مستفهماً ومتدبراً حول هذا الموضوع المطروح للبحث، ليتعرف على موقف القرآن الكريم منه، ويكتشف النظرية القرآنية حوله، وذلك بالمقارنة بين النص القرآني وما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات[3]، ((وما تريد هذه الرؤية تأكيده هو عصرية القرآن، وتجدد المعرفة القرآنية وقدرتها الدائمة على المواكبة، لما يوفر لكتاب الله القيمومة على الحياة ...))[4].

وقد كان لارتباط الهم التغييري النهضوي بالتفسير، أن ترك آثاره الحيوية على تفاسير المصلحين الروّاد، ومنهم الصدر، فإن البعد التغييري النهضوي ترك آثاره على منهجه في التفسير، وهناك فرق واضح بين تفسير يحمل هم الواقع وينشد التغيير، وبين تفسير آخر يُكتب بغير ذلك المنهج[5].

---

[1] – ينظر: المدرسة القرآنية: ٢٣.

[2] – ينظر: أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر: ٧٤-٧٥.

[3] – ينظر: المدرسة القرآنية: ٢٩.

[4] – المعاصرة القرآنية: ١٩٨.

[5] – ينظر: دراسات في تفسير النص القرآني: ٢٠٣/١.

إن المنهج الموضوعي عند الصدر لم يكن مجرد نقلة في منهج التفسير من الجانب النظري، وإنما هو مزاوجة بين طريقة فهم الإسلام على أساسٍ ترابطي، وبين وعي المسلمين وحمل هموم التغيير، فقد نظر إلى التفسير الموضوعي نظرة خاصة تختلف عن المحاولات السابقة والمعروفة باسم (التفسير الموضوعي)، إذ بدأ بتفسيره من الواقع الاجتماعي ثم عاد إلى النص القرآني، لذا يُعد الصدر مؤسساً لمنهج جديد حدّد معالمه وطبقه بشكل واضح ومحدد[1]، وسعى من خلال التطبيق العملي للتفسير الموضوعي إلى إيجاد الصلة بين القرآن الكريم وحركة الحياة[2].

وينطلق من هذا الهدف القرآني في دراسته السنن التاريخية في القرآن الكريم، ويرى أن ((نقطة البداية في حركة التاريخ ... هو تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، والذي يُعتبر القاعدة، والوضع الاجتماعي هو البناء العلوي، ولا يتغير البناء العلوي إلا طبقاً لتغير القاعدة))[3]، وفي هذا المجال يقول الدكتور طه جابر العلواني: ((ولقد بنى الإسلام كل مناهجه التغييرية وبرامجه على تغيير ما بالنفس، فمن خلال الذات الإنسانية تنطلق عمليات التغيير، وعلى أساس منها يقوم بناؤه، وعلى محور النفس تدور عجلته، بل جعل التغيير الإلهي نتيجة وثمرة لتغيير ما بالنفس الإنسانية))[4].

وفي معرض تحليله الآيات التي استعرضت نماذج من سنن التاريخ، يأتي الصدر بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١١)، ثم يبين أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن سنة من سنن التاريخ؛ هذه السنة التي ربطت القاعدة المتمثلة بالمحتوى الداخلي النفسي الروحي والفكري للإنسان، بالبناء العلوي الخارجي المتمثل بالوضع الاجتماعي، فخارج الإنسان يصنعه داخله، فإذا تغير ما بنفس القوم، تغير وضعهم، وتغيرت

---

[1] – ينظر: منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن: ٣٨٤ – ٣٨٥.

[2] – ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٧.

[3] – المصدر نفسه: ٣٩٦.

[4] – الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، الدكتور طه جابر العلواني: ١٧.

علاقاتهم والعلاقات التي تربط بعضهم بالبعض الآخر[1]، وبناءً على ذلك فإن المحتوى الداخلي للإنسان وهو (الفكر والإرادة)، هو الأساس لحركة التاريخ، كما وأنه هو الأساس في التغيير الاجتماعي[2]، ولكن دور القوم ليس دوراً مستقلاً بذاته، بل هو مرتبط وتابع لأمر الله سبحانه وتعالى بالتغيير وإذنه به، ومما يدل على ذلك اسناد التغيير إلى الله تعالى في الآية الكريمة[3]، ((وهكذا تبرز الرؤية الإسلامية في عملية التغيير التي تنطلق من الفرد، ومن بعده المعنوي أساساً))[4].

ثم إن هذا الارتباط بين التغييرين (تغيير المحتوى الداخلي، والتغيير الاجتماعي)، لابد أن يسيران جنباً إلى جنب، لتحقيق الهدف والغاية التي أرادها الإسلام والقرآن الكريم، فإنه من المستبعد أن ينفصل أولهما عن الآخر، وبخلافه يفقد الأول محتواه وقدرته على التغيير، ويبقى البناء الخارجي الاجتماعي بناءً مهزوزاً متداعياً، لذلك يسمي الإسلام عملية بناء المحتوى الداخلي بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، وعملية البناء الخارجي بالجهاد الأصغر[5].

وختاماً فإن القرآن الكريم حي لم يمت، وأحكامه تجري في كل زمان ومكان، فهو كتاب الله الخالد على مر الدهور، وهذا هو سر إعجازه، وقد بذل المفسرون المعاصرون مختلف الجهود لاستنطاقه بشأن قضايا الإنسان المعاصرة، فلبى نداءهم في كل ما يتطلبه الواقع وأجاب عن كل ما طرحوه بين يديه، ومن هذه الجهود المباركة ما قام به السيد الصدر، حتى تسنى لنا أن نسمي محاولته بالفهم المعاصر للقرآن الذي انطلق من مقاصد القرآن في تفسير النظريات التي تنفع الناس.

---

[1] – ينظر: المدرسة القرآنية: ٦٢.

[2] – ينظر: المصدر نفسه: ١١٥ – ١١٦.

[3] – ينظر: قراءات معاصرة في النص القرآني، مجموعة من المؤلفين: ٢٦٧.

[4] – المصدر نفسه: ٢٦٨.

[5] – ينظر: المدرسة القرآنية: ١١٧ – ١١٨.

الفصل الثاني

الاتجاه الأدبي بين المنهجين

البياني والبنائي

الاتجاه الأدبي في التفسير

من الاتجاهات التي برزت في العصور المتأخرة واهتمت بلغة القرآن وبلاغته اللون الأدبي في التفسير، الذي بدأت ارهاصاته الأولى على يد الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ثم ظهرت عدة تفاسير طبّقت هذا المنهج، منها تفسير (في ظلال القرآن) وكتاب (التصوير الفني في القرآن) لسيد قطب، ولم يتبلور هذا المنهج بشكل واضح المعالم إلا على يد الشيخ أمين الخولي، وفيما بعد قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بتحديد معالمه وتأصيل أسسه، فأصبح المنهج البياني، فدوّنت قواعده في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) وطبقت هذا المنهج على عدة سور قرآنية، وبعد ذلك ظهرت عدة دراسات أدبية وبلاغية للنص القرآني، ومن أبرزها دراسات الدكتور فاضل السامرائي التي تنوعت وتعددت وركّزت على الجانب اللغوي والبلاغي والملحظ الأسلوبي في فهم القرآن، ثم أنتجت هذه الدراسات تفسيراً بعنوان: (على طريق التفسير البياني) الذي ابتدأه بمقدمة نظرية مهمة لمنهجه في التفسير، وأتبعه بتفسير عدد من سور القرآن.

ومن جانب أدبي آخر انطلق الدكتور محمود البستاني ليؤسس لمنهج جديد يقوم على الفهم الكلي أو النصي للقرآن وينظر إلى البناء الكامل للسورة بوصفها وحدة موضوعية مترابطة الأجزاء، أطلق عليه تسمية "التفسير البنائي"، الذي طبّقه فيما بعد على تفسير القرآن بشكل كامل وسمّى تفسيره هذا بـ (التفسير البنائي للقرآن الكريم) وهو مؤلف من خمسة أجزاء، وسبقته دراسات قرآنية متنوعة للمؤلف، كلها تقوم على هذا النمط وهذا المنهج.

وفي هذا الفصل نسلط الضوء على الفهم القرآني من منظور هذين المنهجين الأدبيين، مع اختيار سورة (الضحى) مثالاً تطبيقياً، وذلك لكونها من السور المشتركة في تفاسير هذا الاتجاه.

منهج التفسير البياني

يعرّف منهج التفسير البياني بأنه ((التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير))[1].

وبصورة أوضح فإن التفسير البياني ((تفسير بلاغي يركّز على دقة اختيار القرآن الكريم الكلمة دون غيرها ضمن السياق الخاص (الجملة)، وعلى دقة اختياره لجملة دون غيرها ضمن السياق العام (السورة)، ويحاول استجلاء الرهافة في التعبير ومكمن الهدف المقصود، والايحاء الذي تشع به تلك الكلمة أو الجملة ضمن السياق الذي وردت فيه، وعدم قدرة كلمات أو جمل أخرى غيرها اقتناص ذاك الايحاء التعبيري الكاشف))[2].

وقد وصف المحقق جعفر السبحاني هذا المنهج بقوله: ((ولا شك أنه نمط بديع بين التفاسير، إذ لا يماثل شيئاً مما ألّف في القرون الماضية من زمن الطبري إلى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الإمام عبده وتفسير المراغي، فهذا النمط لا يشابه التفاسير السابقة، غير أنّه لون من التفسير الموضوعي أولاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانياً، والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده في الكتاب. وبعبارة أخرى: يهتم المفسر في فهم لغة القرآن بالتتبع في جميع صيغ هذا اللفظ الوارد في القرآن الكريم ثم يخرج من ضم بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللغوي الأصيل، وهو لا يترك هذا العمل حتى في أوضح الألفاظ))[3].

---

[1] – على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي: ١/٧.

[2] – التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، الشيخ علي آل موسى: ٩٧.

[3] – المناهج التفسيرية في علوم القرآن، العلامة المحقق جعفر السبحاني: ١٤٦.

قواعد المنهج البياني

ويمكن أن نلخص القواعد التي يقوم عليها هذا المنهج بما يأتي[1] :

١- ينطلق هذا المنهج من الفهم الموضوعي للقرآن الكريم، إذ يبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

٢- كما يعتني هذا المنهج في فهم ما حول النص، ويراد بما حول النص ترتيب الآيات بحسب النزول لمعرفة الظروف والأحوال التي نزلت فيها الآيات، كما يستأنس بروايات أسباب النزول، علماً بأن العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.

٣- أما في فهم دلالات الألفاظ فمنهج التفسير البياني يؤمن بأن العربية هي لغة القرآن، فيلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم يستلخص الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.

٤- وفي فهم أسرار التعبير القرآني يحتكم هذا المنهج إلى سياق النص القرآني، ويعرض عليه أقوال المفسرين، فيقبل منها مايقبله النص، ويتحاشى ما أُقحم على كتب التفسير من المدسوس والإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، ويدع التأويل.

٥- كما يحتكم إلى القرآن الكريم نفسه في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، ليعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين لا العكس، فالقرآن الكريم هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه، وهو النص الموثوق الذي لم تشبه من أي سبيل أدنا شائبة مما تعرّضت له النصوص الفصحى من تحريف أو وضع، ثم إنه ليس بموضع الضرورة كالشواهد الشعرية، ليجوز عليه مايجوز عليها من تأويل.

---

[1]- ينظر: على طريق التفسير البياني: ١/٧.

نخلص من ذلك أن هذا المنهج ((هو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، ويؤخذ اللفظ والآية فيه مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية))[1].

أدوات المفسر البياني

إن الذي يتصدّى للتفسير البياني يحتاج إلى مايحتاج إليه أي مفسر، إلا أنه بحاجة أكثر إلى التبحّر فيما يأتي[2]:

١- علوم اللغة العربية وهي: (علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو وعلوم البلاغة)، فلا تغني المعرفه اليسيرة بل ينبغي للمفسر البياني أن يكون على اطلاع واسع في هذه العلوم. ورد في البرهان: ((وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلم اليسر منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنين))[3]. وجاء في الإتقان أن المفسر يحتاج إلى التبحّر في لسان العرب واللغة والنحو والتصريف[4].

٢- كما يحتاج المفسر البياني إلى علم القراءات التي من خلالها يترجّح بعض الوجوه على بعض، فقد تدل القراءتان أو القراءات على كمال البلاغة وتمامها، فمن ذلك على سبيل المثال قراءة (مالك يوم الدين) وقراءة (ملك يوم الدين) فقد جمع له سبحانه وتعالى بالقراءتين الحكم والتملك؛ وذلك لأن (مالك) من التملك، و(الملك) هو الحكم الأعلى، فجمع الله تعالى لنفسه كمال الأمرين ولا يمكن أن يكون ذلك بقراءة واحدة، فنزلت مرتين بالقراءتين فجمعت المعنيين. وقد أشار ابن الجزري إلى فائدة اختلاف القراءات القرآنية بقوله:

---

[1] -التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن: ١/١٧-١٨.

[2] - ينظر: على طريق التفسير البياني: ١/٧-١٤.

[3] - البرهان في علوم القرآن، الزكشي: ٢/١٦٥.

[4] - ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/١٨٠-١٨٢.

((وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك غير ما قدّمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جُعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كل يصدّق بعضه بعضاً ويبيّن بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد. وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق ما جاء به صلى الله عليه وسلم))[1].

٣- ومن الدلائل المهمة على فهم المعنى القرآني معرفة أسباب النزول، فيها تعرف الكثير من الأمور التي قد يصعب فهمها لولاها، ويقصد بأسباب النزول ((ذكر كل ما يتصل بنزول الآيات القرآنية (آية أو جزء منها أو عدة آيات أو سور) من القضايا والحوادث، سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان، التي صاحبت نزول القرآن الكريم أو أعقبته))[2].

٤- ومن الأمور اللازمة للمفسر البياني النظر في السياق القرآني، ففيه تتضح كثير من الأمور ويتضح سبب اختيار لفظة على أخرى وتعبير على آخر ويتضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة، فهو من أهم القرائن التي تدل على المعنى القرآني.

٥- مراجعة المواضع القرآنية التي ورد فيها التعبير مشابهاً للتعبير المراد تفسيره وتبيينه لاستخلاص المعنى المقصود.

٦- مراجعة المواضع القرآنية التي وردت فيها المفردة المراد تفسيرها مكررة واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.

---

[1] - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٥٢/١.

[2] - بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي: ١٣٤.

٧- معرفة خصوصيات الاستعمال القرآني كاستعمال (الريح) للشر و(الرياح) للخير، و(الغيث) للخير و(المطر) للشر، و(العيون) لعيون الماء، و(الصوم) للصمت و(الصيام) للعبادة المعروفة وغير ذلك.

٨- أن ينظر المفسر البياني إلى الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسع أو التقيد في المعنى وما إلى ذلك.

٩- أن يتنبأ إلى أي تغير في المفردة والعبارة وإن كان في نظره غير ذي بال فإنه ذو بال، فأن وجد تعليلاً وإلا فسيأتي من ييسر الله له تعليله وتفسيره، كالإبدال في المفردة نحو: (يطهر) و(يتطهر) و(يذكر) و(يتذكر)، والذكر والحذف نحو: (يستطع) و(يسطع)، وتغير الصيغة نحو: (مغفرة) و(غفران) و(نخل) و(نخيل)، والإدغام والفك نحو (من يرتد) و(من يرتدد) وما إلى ذلك.

١٠- ومن أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معانٍ جديدة وفهم القرآن الكريم هو إدامة التأمل والتدبر، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالتدبر في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد/٢٤)، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (محمد/٢٩).

وفي هذا المقام يتحدث الدكتور فاضل السامرائي عن تجربته في تدبر كتاب الله تعالى قائلاً: ((وكلما أمعنت في التدبر فتح الله عليك من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار ما لم يكن منك على بال، والتدبر والتفكر في كتاب الله وأسرار تعبيره من ألزم الأمور للقارئ والمفسر وهما للمفسر ألزم، فأدم التدبر والتفكر فيما استعصى أمره ولا تمل من ذلك، وافعل ذلك مرةً ومرتين وثلاثاً وأربعاً وعشراً وعاود ذلك فإنه سيفتح الله عليك ويبصّرك ما لم تبصره، وقد مرت

بي مسائل لم أهتدِ إلى حلها على كثرة التدبر والتأمل حتى كدت أيأس من وصولي إلى حل لها فإذا بي وقد انقدح في ذهني ما يزيل الإشكال ويثلج الفؤاد))[1].

١١- الاطلاع على جملة من أشهر التفاسير القديمة والنظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابه وتناسب الآيات والسور وما إلى ذلك مما كُتِبَ في أسرار التعبير القرآني فإن فيها أسرار بيانية وفنية بالغة الرفعة.

١٢- وأساس ذلك كله (الموهبة)، فإنها أساس كل علم وفن وصنعة، فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن، ولا يمكن الاعتماد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينمّيها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل.

روّاد منهج التفسير البياني

أولاً- الشيخ أمين الخولي (ت: ١٩٦٦م): يعد أمين الخولي أول من أبتكر منهج التفسير البياني، وذلك في كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) الذي أكملت مسيرته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها الموسوم (التفسير البياني للقرآن الكريم)[2].

وللشيخ الخولي رأي مميز في تفسير القرآن، فهو يدعو إلى تفسير القرآن الكريم نفسياً وأدبياً؛ لأنه يعدّه كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي خلّد العربية، وحمى كيانها، وخلُد معها، فصار فخرها وزينة تراثها[3].

ثانياً- الدكتورة عائشة عبد الرحمن (ت: ١٩٩٨م): من النساء المعاصرات اللواتي أسهمن في الأدب العربي والفكر الاجتماعي، فهي تهتم في تفسيرها بالبيان العربي، وكما

---

[1] - على طريق التفسير البياني: ١/١٣.

[2] - ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي:٩٢.

[3] - ينظر: مشاعل في العتمة، حسن سعيد: ٢٩٨.

تذكر في مقدمة كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) أنها اهتدت إلى هذه الطريقة لمعالجة المشكلات في حياتنا الأدبية واللغوية[1]، وفي الوقت الذي يلبي فيه التفسير البياني كل الأغراض التي تهدف إليها بنت الشاطئ إلا أن هذا المنهج قد يغفل جوانب القرآن المتعددة، كالتشريعات والأحكام ومبادئ الحياة الانسانية، إذ أنه يتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري، ودراسة النصوص الأدبية تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لأخر بتفاوت ثقافته[2].

وهناك من الباحثين من يعزو هذا الفضل إلى سيد قطب بقوله: ((والحق يقال إن التفسير الأول الذي عني بإبراز الصور الجمالية في القرآن هو "في ظلال القرآن" على الرغم من وجود كتب أخرى حاولت استنباط هذه الصور وكشفها، وإبرازها إلى الوجود كتفسير "الكشاف" للزمخشري، و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني ... وعلى المنوال ذاته حاول أمين الخولي أن يفسر القرآن، والسيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة باسم "بنت الشاطئ" في كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم" ...))[3].

كما اعتنت عائشة عبد الرحمن بقضية الإعجاز القرآني، وقد تحدّثت عنها قائلة: ((وقد شغلتني قضية الإعجاز البياني دون أن أتجه إليه قصداً، فأثناء انشغالي بالتفسير البياني والدراسات القرآنية، تجلّى لي من أسراره الباهرة ما لفتني إلى موقف العرب من المعجزة القرآنية في عصر المبعث، ووجهني إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، وقد تحداهم والعربية لغته ولغتهم والبيان طوع ألسنتهم، وهم بلا ريب قد أدركوا من أسرار

---

[1] – ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣٤٢.

[2] – ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٣.

[3] – ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين: ١٣٤-١٣٥.

إعجاز البيان ما أيأسهم من محاولة الإتيان بلفظ يقوم مقام اللفظ فيه، أو أن يأتوا بآية على غير الوجه الذي جاءت به في البيان المعجز))[1].

ومن ثم ظهرت عدة مؤلفات سارت على منهج الدكتورة عائشة نفسه ولكنها لم تكتب لها الشهرة كما كتبت للماضين، ومن ذلك كتاب "دراسة أدبية لنصوص من القرآن" للأستاذ محمد المبارك، وكتاب "التفسير المنير" للدكتور وهبة الزحيلي وغيرهما من المؤلفات[2].

ثالثاً– الدكتور فاضل صالح السامرائي: وهو أحد كبار أساتذة اللغة والنحو المعاصرين في العراق، عُرف بكثرة دراساته القرآنية البلاغية، وتعد هذه المؤلفات من أبرز ما كتب في عصرنا الحاضر، وآخرها وثمرتها كتابه في التفسير الذي سماه (على طريق التفسير البياني) الذي يتألف من جزئين، وهو يعد ثمرةً لسلسلة من الدراسات البلاغية القرآنية التي قدّمها من قبلُ أما على شكل محاضرات جامعية وأما على شكل برامج تلفازية طبعت فيما بعد على شكل كتب. وما يهمنا هو تفسيره – سالف الذكر – فضلاً عن تفسير عائشة عبد الرحمن بوصفهما يمثلان قطبي هذا المنهج.

منهج التفسير البنائي

يقصد بالتفسير البنائي ((دراسة النص القرآني الكريم من خلال (السورة) بصفتها (وحدة) لغوية لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تترابط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر))[3]. وهو منهج يقوم على دراسة السورة القرآنية الكريمة من حيث بنائها العماري

---

[1] – الإعجاز البياني للقرآن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١١–١٢.

[2] – ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم: ١٣٥.

[3] –التفسير البنائي للقرآن الكريم، (بحث) د. محمود البستاني، مجلة المصباح: ع/١، ٢٠١٠م، ص: ١٥١.

والهندسي وما يحكم هذا البناء من علاقات عضوية تجعل أجزاء النص مرتبطة بعضها بالأخر على وفق سببية محكمة[1].

والمنهج البنائي من المناهج التفسيرية الحديثة وهو تأصيل فكري معاصر يهدف إلى إبراز ملامح نوع جديد من التفسير أبتكره الدكتور محمود البستاني الذي وضح ملامح تفسيره بمنهج تحليلي استدلالي من خلال التعرض إلى بعض الآيات القرآنية واستخراج ما فيها من خصائص أدبية ولغوية[2].

وأهم ما يميز هذا المنهج التفسيري عن غيره أنه يولي السورة مكانة خاصة بوصفها شكلاً لغوياً تنتظم داخله الآيات ويحتوي على وحدة موضوعية واحدة[3]. كما أنه يختلف عن سواه بكونه يتوفر على دراسة البعدين الجمالي (الأدبي) والدلالي (العلمي)، فدراسته للنص القرآني أكثر سعة من الدراسات القرآنية الأخرى[4].

مسوغات التفسير البنائي

يمكن تلخيص مسوغات التفسير البنائي في جملة نقاط منها[5]:

إن الدراسات القرآنية الموروثة قد اقتصرت على التفسير الترتيبي والتجزيئي، أي دراسة الآيات القرآنية الكريمة منعزلة عن الهيكل الهندسي العام للسورة، والأمر نفسه بالنسبة إلى غالبية الدراسات الحديثة، عدا بعض الدراسات النادرة منها، إذ أنها اقتصرت على بعض السور دون التوفر على السور جميعاً أو دراسة المناخ العام للسورة، وهي تختلف عن دراسة

---

[1] – ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم:١٢٦.

[2] – ينظر: أسئلة وأجوبة قرآنية، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ: ٦٨.

[3] – ينظر: المصدر نفسه: ٥٠.

[4] – ينظر: الفهم المتجدد لآيات القرآن المجيد في ضوء منهج التفسير البنائي، حوار مع الدكتور محمود البستاني (انترنت) موقع: دار السيدة رقية: www.ruqayah.net .

[5] – ينظر: المصدر نفسه.

البناء العضوي لها؛ لأن المناخ العام للسورة ينحصر في تبيين المحور أو المحاور الفكرية التي تتناولها السورة، أما البناء العضوي فيتناول الصلة العضوية بين المحاور المذكورة، أي الرابطة (السببية) بين عناصر السورة جميعاً، سواء أكانت موضوعاً واحداً ذا موضوعات مختلفة، أو عناصر ثانوية.

وثمة دراسات أخرى وهي التفسير الموضوعي الذي يقتصر على المحور الدلالي الخاص بهذا الموضوع أو ذاك من خلال اقتناصه من النصوص القرآنية بنحو عام، وهو بدوره يدرس الظاهرة منعزلة عن استقلالية الهيكل العام للسورة القرآنية ... وهذا يعني أن دراسة البناء العضوي للسورة تظل غائبة عن الساحة التفسيرية، وهو ما شكل مسوغات للمنهج البنائي. وبذلك يتبيّن الفرق بين هذا المنهج ومنهجي التفسير التجزيئي والموضوعي.

كما أن القرآن الكريم يضم بشكل خاص وحدة لغوية خاصة هي (السورة) وليست عبارات منتشرة هنا وهناك كانتشار الأحاديث مثلاً، ومن المؤسف أن أغلب المفسرين غفلوا عن مسألة مهمة وهي سبب انتظام النص القرآني في (السورة)، وإذا كانوا قد تنبهوا إلى هذه المسألة فأن ذلك منحصراً في الإشارة إلى المناخ العام للسورة لا (سببية) ذلك، وهي فجوة يمكن ملاحظتها في الدراسات القرآنية، وقد اضطلع المنهج البنائي في تلافيها ودراستها.

إذاً ثمة أسرار تمكن وراء انتظام القرآن الكريم في سور مستقلة، ويضطلع المنهج البنائي بتوضيحها، فمن الحقائق الواضحة في حقل الإدراك أو الاستجابة حيال المعرفة وتمثلها أن الذهن البشري يدرك الظواهر من خلال (الكل) وهو أمر قد انتبهت إليه بعض الاتجاهات النفسية، إذ يستوي في ذلك أن يتم الإدراك لـ (الكل) من خلال (جزئياته) أولاً، ثم الانتقال إليه، أو من خلاله ثم الانتقال إلى جزئياته، وفي الحالتين ثمة ادراك لا ينفصل (كله) عن (جزئه) ولا جزؤه عن كله.

وبناءً على ذلك إن النص أياً كان نمطه إنما يستهدف (توصيل) أفكاره إلى الآخرين، وحينئذٍ فإن عملية (التلقي) أو (الاستجابة) للنص لا تحقق هدفاً إلا من خلال استثارته

عقلياً وعاطفياً كافتتاح النص بظاهرة ما أو إجمالها أو تفصيلها أو حذفها أو اختزالها أو التدرج أو التصاعد بها أو توشيحها بعناصر تخيلية أو عاطفية كالصورة أو الرمز أو الإيقاع، أو رفدها بأدوات قصة أو حوارية ... إلخ.

وكل أولئك جميعاً يعتمدها النص لتحقيق الإثارة المطلوبة. وفي ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نتبين أهمية الدراسة للنص، فما دام المتلقي يستجيب للنص من خلال (الكل)، حينئذ فأن الانتهاء من السورة الكريمة سوف تفضي بالمتلقي إلى أن يظفر بالحصيلة النهائية التي استهدفتها السورة، أي تترك لديه انطباعاً أو تأملاً (وعيه بالقراءة)، فعندما نتلو سورة ما عندئذٍ قد نركّز عليها جميعاً أو على بعض مقاطعها دون بعضها الآخر، ولكن مع التركيز الشامل عليها نتحسس دون أن نعي أسرار ذلك أن أثراً ما قد يتركه في ذاكرتنا، قد يكون هذا الأثر في زينة الحياة الدنيا مثلاً أو الانبهار بإبداع الله تعالى أو التشجيع على الإنفاق ... إلخ.

وبحسب المحور الذي تحوم عليه السورة أو محاورها المتنوعة، وفي الحالات جميعاً نحس بأثر إجمالي (مركب) من أفكارها الرئيسة والثانوية والعرضية والطارئة، وبهذا يفترق التناول للسورة من خلال عمارتها العامة عن التناول لبعض آياتها أو مقاطعها كما في مناهج التفسير الأخرى[1].

ويذكر الدكتور البستاني مثالاً تطبيقياً على منهجه التفسيري وذلك بدراسة سورة الكهف دراسة بنائية، إذ يلاحظ أن لهذه السورة أثر كلي يتركه نصها من خلال (التضاد)، فالسورة الكريمة تطرح ظاهرة (زينة الحياة الدنيا) عبر جملة آيات، وتتوكأ على العنصر القصصي في تجلية الظاهرة المذكورة، إنها تطرح قصة أهل الكهف بعد أن تمهد لها بالآية القائلة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف/٧)، وتطرح قصة صاحب الجنتين، وتطرح قصة ذي القرنين، في مواقع مختلفة من النص، وتطرح أيضا قصة

[1] – ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم (بحث): ١٥٣-١٥٤.

موسى وصاحبه، إن المتلقي وهو ينتهي من قراءة النص سيزدحم في خاطره أكثر من موقف يضاد الآخر، وأكثر من شخص يضاد الآخر ...

فأهل الكهف قد انزووا تماماً ونبذو زينة الحياة الدنيا مع أنهم يحتلون مراكز القوى في السلطة، إلا أن صاحب الجنتين تشبث بزينة الحياة الدنيا إلى درجة يشكّك بقيام الساعة، وهذا يعني تضاداً بين بطلي القصتين، وهناك تضاد نلاحظه أيضاً من زاوية أخرى بين صاحب الجنتين (المزرعتين) وبين صاحب شرق الأرض وغربها (ذي القرنين)، فمع أن الأخير ملك الأرض شرقها وغربها فإنه هتف قائلاً: هذا من رحمة الله تعالى، بينما صاحب الجنتين وهما عديمتا القيمة قياساً بشرق الأرض وغربها كفر بنعم الله تعالى، وهذا يعني تضاداً بين بطلي القصتين. و يتساءل البستاني: ماذا يعني مثل هذا التضاد بين أبطال متفاوتين في المركز والأدوار؟ ويجيب عن ذلك بقوله: إن قارئ النص سوف تحتفظ ذاكرته بالأثر (الكلي) الذي تتركه هذه القصص المتضادة، بحيث يخلص منها إلى ضرورة نبذ زينة الحياة الدنيا. إذاً تظل القراءة الكلية للنص ذات أثر أشد سعة من القراءة التجزيئية أو الموضوعية[1].

وهذه السمة التي يتصف بها المنهج البنائي ليست هي الوحيدة بل إن هناك عناصر وأدوات دلالية ولغوية وشكلية وطرائق صياغتها كلها تسهم في تعميق الاستجابة المطلوبة التي يستهدفها النص، فهنالك خطوط متنوعة لبناء النص، منها ما يتصل بعلاقات الآيات والمقاطع والموضوعات مع بعضها، ومنها ما يتصل بخطوط العمارة طولياً أو أفقياً أو توازياً، ومنها ما يتصل بالعناصر والأدوات الثانية التي يوظفها النص لإنارة هدفه[2].

وخلاصة القول إن البستاني لاحظ أن الدراسات التي تناولت القرآن الكريم لم تعطِ نصيباً لدراسات السور القرآنية الكريمة بصفتها مجموعة من الآيات ترتبط أحدها مع الأخرى لتكون شكلاً منتظماً وأن النبي (صلى الله عليه وآله) حينما أمر كتّاب الوحي بأن يضع هذه الآية

---

[1] – ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم (بحث): ١٥٦-١٥٧.

[2] – ينظر: المصدر نفسه: ١٥٧.

أو تلك في السورة الفلانية أو بجانب الآية الفلانية فإنما دلّ على أن السورة هي هيكل أو بناء قد خُطط له بدقة وإتقان، وأن لهذا التخطيط فلسفة فكرية خاصة. كل هذه الأسباب وغيرها تجعل أهميتها خاصة لدراسة السورة القرآنية بوصفها عمارة خاصة ترتبط آياتها وأفكارها وموضوعاتها بعضها مع الآخر، وهذه الأسباب نفسها هي التي دفعت البستاني إلى دراسة القرآن من خلال المنهج البنائي[1].

إن دراسة السور القرآنية وتفسيرها عبر المنهج البنائي يتم على وفق أسلوبين، هما[2]:

١- الوقوف عند السمات الفكرية أو الموضوعية التي تربط الآيات بعضها مع بعضها الآخر.

٢- الوقوف عند السمات الفنية، أي ملاحظة مجموع السور من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثم علاقة كل آية بما سبقها ولحقها (السياق القرآني) من جانب آخر، ثم ملاحظة العناصر القصصية واللفظية والصورية والإيقاعية (الصوتية) وغيرها من العناصر مع ملاحظة هذه العناصر ومدى إسهامها في عملية الربط بين أجزاء السورة، ثم كيفية توظيفها من أجل إنارة الفكرة التي يتضمنها النص.

إذاً فالتفسير البنائي يعنى بالسمات (الفنية) إلى جانب السمات (الفكرية)، أو بعبارة أخرى يعنى بالشكل والدلالة.

ميزة المنهج البنائي عن المنهج البياني

اتضح مما تقدّم أن المنهج البنائي في تفسير القرآن يعنى بالسمات الفنية (القصصية، واللفظية، والصورية، والإيقاعية.. وغيرها) إلى جانب السمات الفكرية، إذ لا ينفصل أحدها عن الآخر، كما يعنى بإبراز (الوحدة العامة) التي تحكم السورة، وهذه الوحدة تختلف بحسب

---

[1] - ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني: ٧-٨.

[2] - ينظر: المصدر نفسه: ٨ .

طبيعة كل سورة، إذ أن لكل سورة شكلها الخاص من البناء يتناسب مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النص[1]. وهناك زوايا متنوعة تحكم السورة، هي:

١- فيما يتعلق بالموضوعات والأهداف، فالسورة الكريمة تتخذ أحد الأبنية الآتية تبعاً لعلاقة موضوعاتها بالأفكار المطروحة فيها: وحدة الفكرة ووحدة الموضوع/ وحدة الفكرة وتعدد الموضوع/ وحدة الموضوع وتعدد الفكرة/ تعدد الفكرة وتعدد الموضوع.

٢- ومن ناحية الأشكال، فإن السورة تتخذ واحداً من الأبنية الآتية:

- البناء الأفقي: وهو أن تبدأ السورة بموضوع وتختم بالموضوع ذاته عبر سلسلة من الموضوعات المتنوعة.
- البناء الطولي: وهو أن تبدأ السورة بموضوع تتدرج في عرضه بحيث يختم الموضوع مع نهاية السورة.
- البناء المقطعي: وهو أن تطرح السورة جملة من الموضوعات تنتهي كل واحدة منها بآية أو أكثر تتكرر في المقاطع جميعاً.

٣- من ناحية العلاقات، فإن السورة تتخذ واحدة من العلاقات الآتية:

- السببية: ويقصد بها أن الموضوعات في السورة يترتب أحدها على الأخر على نحو (السببية) بحيث يكون الموضوع (سبباً) للاحقه (مسبباً) عن سابقه.
- النمو: ويقصد به أن الموضوع ينتقل أو يتحول أو يتطور من مرحلة إلى أخرى كما يتنامى النبات ويقطع مراحل متنوعة حتى يصل إلى نهاية نموه.

[1] - ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ١/٨-١٠.

- التجانس: ويقصد به مجانسة كل عنصر من عناصر النص مع الآخر، أي مجانسة الموضوعات مع الأفكار بالنسبة إلى الأدوات الفنية المستعملة، كعنصر القصة والصورة والإيقاع ... إلخ.

هذه المستويات من الوحدة التي تنتظم عمارة السورة الكريمة، حاول البستاني أن يقف عندها مفصلاً حسبما تقتضيه السورة ذاتها، حيث أن كل سورة تتخذ لها شكلاً خاصاً من العمارة التي تتناسب خطوطها مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النص.

مثال تطبيقي:

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إذا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى/١-٣).

سورة الضحى هي سورة مكية، ولا خلاف بين المنهجين على أن سبب نزول هذه السورة هو ابطاء الوحي واحتباسه على الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو في مكة، حتى شقّ ذلك عليه، وقيل فيما قيل: ودّع محمداً ربُه وقلاه ! فجاء الجواب في هذه السورة بأن الله تعالى ما ودّع محمداً (صلى الله عليه وآله) وما قلاه[١].

وتستهل السورة بالقسم بالواو ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إذا سَجَى﴾ وهذا القسم القرآني يدل على التعظيم للمقسم به وهذا هو الرأي السائد عند الأقدمين[٢].

أما عائشة عبد الرحمن فترى بأن هذا القَسَم يمكن أن يكون قد خرج عن أصل الوضع اللغوي الذي يدل على التعظيم إلى معنى بياني على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له إلى أغراض بلاغية، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً إلى أشياء حسية مدركة وليست غريبة، فهي توطئة إيضاحية لبيان معنويات

[١] – ينظر: التفسير البياني: ٢٣، على طريق التفسير البياني: ١٠٩، والتفسير البنائي: ٣٦١.

[٢] – ينظر: التبيان في اقسام القرآن، ابن قيم الجوزية: ١.

أو غيبيات لا تدرك بالحس. والقسم بالواو في قوله تعالى: (والضحى) هو أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية، وثَمّ تناسب بين المقسم به (الضحى) والموقف، فهذا القسم بالصورة المادية المدركة والمشهورة هي توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة غير مشهودة ولا مدركة، فالمقسم به في سورة الضحى في الآيتين الأولى والثانية (الضحى والليل) هي صورة مادية وواقع حسي يشهد به الناس في كل يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن دون أن يختل نظام الكون، وهذه الصورة البيانية المناسبة للموقف وسبب النزول، فبعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى (صلى الله عليه وآله) جاءت فترة سكون فتر فيها الوحي على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق[1].

وقد أقسم ربنا سبحانه وتعالى بالضحى وبالليل إذا سجا أنه لم يودّع نبيه ولم يقله كما زعم الكفار، فالقسم بهذين الشيئين لهما دلالة خاصة، فإن الضحى يمثل نور الوحي واشراقته وأن الليل إذا سجا يمثل انقطاعه وسكونه، فالدنيا من غير نور النبوة وإشراقة الوحي ليل مظلم وظلام مطبق، لذلك قدّم الضحى وهو ما سبق من نور الوحي على الليل إذا سجا وهو مدة انقطاع الوحي وسكونه، فقال تعالى (إذا سجا) ولم يقل (إذا يغشى) أو (إذا يسرِ) كما في قوله تعالى في مكان آخر: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر/٤)؛ وذلك لأن لفظة (سجا) تدل على السكون والركود وهو إشارة إلى سكون الوحي وركوده وانقطاعه في حين أن "يغشى" أو "يسرِ" ونحوهما تدل على الحركة فكان ما ذكره هنا أنسب[2].

فمن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إذا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يلحظ ((الربط القرآني بين ظواهر الكون ومشاعر النفس إذ أن السورة ابتدأت مقسمة بأصفى اثنين

---

[1] – ينظر: التفسير البياني: ٢٤-٢٦.

[2] – ينظر: على طريق التفسير البياني: ١١٠-١١١.

وهما: الضحى الرائق والليل الساجي، فتتراسل مشاعر النفس بأحاسيس الطبيعة فيغمر اليقين والطمأنينة نفس الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ...))[1].

ويرى صاحب التفسير البنائي أن سورة الضحى وسورة الانشراح تُعدّان سورة واحدة بالنسبة إلى قرأتهما في الصلاة، وبناءً على ذلك يفسرهما بتفسير واحد كما يعدهما خاضعتين لبناءٍ فني واحد، أي أنهما سورة واحدة لكونهما يخضعان إلى خطوط مترابطة عضوياً، ويستدل على ذلك بأن السورتين تتحاوران مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويخاطبانه، وحتى القَسَم إنما جاء جزءاً من مخاطبة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، تحسّساً بأهمية المخاطبة كما هو واضح، فثمة وحدة موضوعية تربط بين السورتين[2].

ومن وجهة نظر المنهج البنائي فإن ((عضوية البناء للنص تأخذ في أحد أشكالها أما موقفاً أو شخصية أو بيئة أو حدثاً لتجعل منه خيطاً مشتركاً، وهنا جاءت شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) ومخاطبته هي الخيط المشترك))[3]، ولا تنحصر عضوية النص في وحدة الشخصية أو الموقف أو الحدث أو البيئة بل تتجاوزها إلى تلاحم الأجزاء التي تنتظم الشخصية أو الموقف ... إلخ، إذ يخضع هذا الترابط أو التلاحم إلى أشكال بنيانية مختلفة مثل النمو العضوي، أي انطلاق المفهومات من نقطة محددة وتطويرها إلى نقطة نهائية أو مفتوحة كما هو الحال في نمو الإنسان وقطعه المراحل المتنوعة من العمر، ومن أشكال البناء العضوي تجانس المفهومات المطروحة ومماثلة بعضها للأخر، ومن أشكال البناء عنصر السببية التي تعني أن كل جزء يقل مسبباً عن سابقة وسبباً للاحقة، ومن أشكال البناء أيضاً تآزر عناصر النص كالعنصر الإيقاعي والصوري واللفظي وغيرها، فإن هاتين السورتين خاضعتا إلى جملة من أشكال البناء الهندسي، وفي مقدمة ذلك: خضوعهما لوحدة الشخصية، ثم

---

[1] – خطرات في اللغة القرآنية، د. فاخر الياسري: ٢٠٦.

[2] – ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٣٦٠-٣٦١.

[3] – المصدر نفسه: ٣٦٠.

خضوعهما للتسلسل الزمني والتسلسل النفسي المرتبط بحياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)[1].

وضمن اهتمامات المنهج البياني بالمفردة القرآنية تقف عائشة عبد الرحمن عند تفسير مفردة (الضحى)، كما تعرض لآراء المفسرين القدماء حول هذه المفردة ومفردة (الليل) وتقارن أقوال المفسرين في دلالة هاتين المفردتين في الاستعمال القرآني[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى/٣)، تشير عائشة عبد الرحمن إلى قراءة الجمهور في لفظة (ودَّعك)، وأن هناك من يقرؤها بالتخفيف (ما ودَعك) مستعينة بأقوال العرب ومستشهدة بالشعر العربي والمعاجم اللغوية[3]، وتبين معنى هذه المفردة (الودْع) إذ تعني الترك، وقد استُعملت حسياً في الوديعة التي تُترك في مكان أو لدى شخص مؤتمنٍ عليها، كما تبين أن هذه المفردة لم تأتِ في القرآن بصيغة الفعل الماضي إلا في هذه الآية من سورة الضحى، أما مفردة (القلى) فتعني البغض ... وتستغرق المفسرة في ذكر الدلالات اللغوية لهذه المفردة عبر الاستعانة بالمعاجم اللغوية، كما تبين أنها وردت مرتين في القرآن الكريم، في آية سورة الضحى، وفي آية أخرى من سورة الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ (الشعراء/١٦٧-١٦٨)، ودلالاتها واضحة على شدة البغض والكراهية الشديدة النفور[4].

كما وقفت عند ظاهرة الحذف في مفردة (قلى) إذ أن المفعول محذوف وهو كاف الخطاب، وتقدير الكلام (وما قلاك)، فتذكر آراء المفسرين فيها، وقد عللها السامرائي بقوله:

---

[1] -ينظر: التفسير البنائي لقرآن الكريم: ٣٦٠-٣٦١.

[2] - ينظر: التفسير البياني: ٢٨-٣٢.

[3] - ينظر: المصدر نفسه: ٣٢-٣٣.

[4] - ينظر: المصدر نفسه: ٣٣-٣٤، وعلى طريق التفسير البياني: ١/١١٢، و المفردات في غريب القرآن (قلى): ٤١٢-٤١٣.

((فقد أقسم ربنا أنه لم يودّع سيدنا محمداً ولم يبغضه، وقد ذكر مفعول التوديع وحذف مفعول البغض فقال ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ ولم يقل (وما قلاك) لأكثر من سبب، فقد قيل إن حذف الكاف الثانية اكتفاء بالكاف الأولى في ﴿ودعك﴾ فقد علم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولأن رؤوس الآيات تقتضي ذاك فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف))[1].

وهكذا يستمر المنهج البياني في تحليل المفردات القرآنية ويتابع الصور البلاغية والبيانية والأسلوبية، أما المنهج البنائي فقد اكتفى بملاحظة النص العام لسورة الضحى وبرهن على مدى ترابطها من خلال استعراضها لفترات زمنية مختلفة من الماضي إلى الحاضر ووصولاً إلى المستقبل الذي جاء تسلية لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما ربط من حيث البناء الفكري بين هذه السورة وسورة الشرح التالية لها.

[1] – على طريق التفسير البياني: ١/١١٢.

الفصل الثالث

الاتجاه اللغوي

معجم (فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته) أنموذجاً

منذ نزول النص القرآني الكريم وإلى الآن لم يزل البحث في مقاصده وفهم دلالاته وتفسيره في تطور دائم، وهذا جزء من سر إعجازه وخلوده، وقد بذل العلماء من المفسرين والباحثين جهوداً مضنيةً في الكتابة والتأليف عنه، فجاءت مؤلفاتهم متنوعة من حيث الموضوعات والإتجاهات، إلا أنهم ركّزوا في دراساتهم على لغته وإعجازه وبلاغته، فبرز من بينها الإتجاه اللغوي الذي عني بتدبر لغة القرآن، وتفسير الغريب من ألفاظه، والوقوف عند أسلوبه وبيانه وأسرار تعبيره وبلاغته ... ولما كان القرآن معجزة الإسلام الخالدة كان من لوازم إعجازه أنه حمّال ذو وجوه، وتتسع دلالاته باتساع الزمان، لذا فإنه ليس بالغريب أن نشهد محاولات جديدة في فهمه وتوضيحه وتفسيره.

ومن الجهود القيّمة في عصرنا هذا الموسوعة الكبرى التي أنتجها مجمع البحوث الإسلامية التابع للعتبة الرضوية المقدسة، وحملت عنوان: (المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته)، وقد تحمّل عبء هذه الجهود ثلة من العلماء والفضلاء والأساتذة الأجلاء، وبذلوا ما بوسعهم من أجل الشمولية في البحث القرآني، وإغناء الباحثين وطلاب العلم من الرجوع إلى مختلف التفاسير والمصادر اللغوية والتاريخية وغيرها، ومن جهة أخرى فإنها شهدت تطوراً وتجديداً في البحث اللغوي القرآني، وهو ما سنفصل القول عنه في هذا الفصل.

وصف المعجم:

بدأ هذا المشروع العلمي تحت إشراف الراحل آية الله محمد واعظ زادة الخراساني، وتمّ في عهده إصدار إحدى وثلاثين مجلداً من الكتاب، وهو من أهم آثار مجمع البحوث الإسلامية في مجال علوم القرآن والدراسات القرآنية، ولهذا الكتاب القيم خصائص تميّزه عن الجهود المعجمية السابقة، فهو يبحث في ألفاظ القرآن ومعانيها وجذورها اللغوية، وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة وأكثرها أصالة وتوثيقاً، كما يضم الكتاب كثيراً من آراء المفسرين على اختلافها، وهذا يعد ميزة فريدة يختص بها الكتاب؛ لأنه لا يوجد أي كتاب آخر اعتنى بهذا المقدار بنقل مختلف أراء المفسرين ونظرياتهم سواء كانوا من المتقدمين أو المتأخرين، وهذا

الأمر عائد إلى عمل دؤوب ومضنٍ قام به الباحثون المشاركون في إعداد الكتاب الذين راجعوا – بشكل دقيق – جميع المصادر التفسيرية قديمها وحديثها، ومن أبرز مزايا هذا الكتاب البحث في الجذر اللغوي الاشتقاقي لجميع المفردات، والوقوف عند المفردات الدخيلة على العربية التي وردت في القرآن الكريم، فضلاً عن البحث في المسائل البلاغية والتفسيرية[1].

وقد وصفه مدير قسم القرآن والمشرف على هذا المشروع الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني بقوله: ((وهو بحق أوسع وأعظم ما أُلّف في ميدان الألفاظ القرآنية، وما فيه من الأسرار البلاغية، إذ يضمّ نصوصاً لغويّة، وبحوثاً تفسيرية، وشواهد تاريخية وأدبية، تتعلّق بألفاظ القرآن ومفرداته، وأعلامه وأدواته، ونصوصاً من وجوه القرآن والنظائر، واختلاف القراءات واللهجات ومعضلات الإعراب والتركيبات ... ولا نغالي لو قلنا: إن الذين يدرسون لغة القرآن تفقّهاً وتبصّراً، ويتناولونها تأمّلاً وتدبّراً، لَيستغنون بهذا المعجم عن غيره من المعاجم القرآنية، والتفاسير اللغوية ...))[2].

وهو وصف دقيق لهذا الجهد العلمي الكبير الذي ضمّ مختلف المباحث اللغوية واختصر جهود السابقين ليكون مرجعاً جامعاً يغني الباحثين عن مراجعة المصادر المختلفة من تفاسير ومعجمات وغيرها من الدراسات القرآنية.

تطور المصطلح:

يؤمن أصحاب هذه الموسوعة بأن للقرآن الكريم فقه لغة خاصاً به يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإعجازه، فجاءوا بمصطلح جديد هو (فقه لغة القرآن) الذي يقابل مصطلح (النظم القرآني) عند المتقدمين ومصطلح (البيان القرآني) أو (الإعجاز البياني) عند المتأخرين، اعتقاداً منهم

---

(1) ينظر: تصريح الشيخ محمد حسن مؤمن زادة مدير قسم الدراسات القرآنية في مجمع البحوث الإسلامية التابع للعتبة الرضوية المقدسة لموقع النعيم نيوز على الشبكة العالمية: http://news.alnaeem.tv .

(2) المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته، لجنة التأليف: ١٣/١.

بأن هذا المصطلح الجديد أوفى بسرّ البيان القرآني ورمز الكلام الإلهي من أي تعبير آخر، لما تحمله لفظة "فقه" من دقة وعمق[1]، جاء في لسان العرب: ((الفِقْه: العلم بالشيء والفهمُ له، وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه وشرفه وفَضْلِه على سائر أَنواع العلم ... والفِقْه في الأَصل الفَهْم، يقال: أُوتِيَ فلانٌ فِقْهاً في الدين أَي فَهْماً فيه، قال الله عز وجل: ﴿ليَتفَقَّهوا في الدين﴾؛ أَي ليَكونوا عُلَماء به))[2].

تطور البحث اللغوي القرآني:

يجمع هذا المعجم بين البحث اللغوي والبحث البلاغي فضلاً عن البحث التفسيري، قال الأستاذ الخراساني: إن هذا المعجم ((يبحث في لغات القرآن وكلماته، فيندرج تحت طائفة كتب "غريب القرآن ومفرداته" ... ومن جهة أخرى، فإن الكتاب يتكفّل بدراسة "بلاغة القرآن" في انتخاب الكلمات وسرّ إعجازها، فهو كتاب لغة وبلاغة وإعجاز قرآني معاً، ويعتبر في الوقت نفسه تفسيراً موضوعياً حسب الكلمات، دون المواضيع ...))[3].

ويمكن أن نتلمس ملامح تطور البحث اللغوي في الخصائص التي انماز بها هذا المعجم عن غيره من المعجمات، وتُعد إضافة جديدة للبحث المعجمي القرآني، وهي[4]:

١- جمع النصوص اللغوية لكل مادة في القرآن، وذلك بالرجوع إلى معجمات اللغة مرتبة حسب الترتيب الزمني لأصحابها، مما يغني الباحث عن الرجوع إلى تلك المعجمات، ويكشف عن التطور التاريخي للدراسات المعجمية. من ذلك مثلاً ما جاء في لفظة (الأمل) إذ يورد المعجم النصوص اللغوية الواردة في المعجمات والمصنفات اللغوية التي تذكر دلالاتها، فيذكر أقوال اللغويين وهم كل من: الخليل والأصمعي واللحياني وابن

---

(١) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ١٦/١.

(٢) لسان العرب، (فقه): ٥٢٢/١٣.

(٣) المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ١٧/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧/١-١٨.

الأعرابي والسجستاني والقالي والأزهري والصاحب وابن جني والجوهري وابن فارس وأبي هلال وابن سيدة والزمخشري وابن منظور والفيومي والفيروز آبادي والطريحي والجزائري والمصطفوي[1].

٢- جمع النصوص التفسيرية الضرورية من مختلف التفاسير لكل مفردة بالأسلوب نفسه، مما يبيّن تطوّر التفسير اللغوي عبر الأزمان. من ذلك مثلاً تفسير لفظة (البرزخ) ينقل المعجم أقوال المفسرين في دلالة هذه المفردة، وهم كل من: الإمام علي (عليه السلام) وابن عباس والطبري والقرطبي وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وابن كعب القرظي وقتادة والسدّي والكلبي والإمام الصادق (عليه السلام) والفرّاء والطبري والقمّي والرمّاني والطوسي والزمخشري والقرطبي والبيضاوي والنيسابوري وأبو حيّان وابن كثير والبُرُوسوي والآلوسي والطباطبائي والمصطفوي.

٣- البحث في فقه لغة الألفاظ القرآنية، وصولاً إلى الجذر الأصلي الذي منه تتفرع الألفاظ والمعاني. وفيه أبحاث مبتكرة تفتح آفاقاً جديدة من فقه اللغة، وقد يُبحث في هذا القسم اشتقاق اللفظ في اللغات السامية وغيرها، ولاسيما الأعلام الأعجمية[2]. من ذلك تفسير لفظة (آدم) جاء فيه: ((في "آدم" ثلاثة أقوال: الأول: هو اسم عبري، والثاني: سرياني، والثالث: عربي. والقول الأخير مختلف فيه؛ فقيل: هو مشتق من أديم الأرض، وقيل: من الأدمة، أي وجه الأرض، أو الأسوة. وقيل: من الأُدْمَة أي السُمرة، أو الخُلطة، أو الأُلفة والاتفاق ... وورد "آدم" بلفظ واحد في العربية والسريانية، وفي العبرية "آدام"، وبألفاظ متقاربة في سائر اللغات السامية. وتوافقت

([1]) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ٣/٢٤٣-٢٤٥.

([2]) ينظر: المصدر نفسه: ١/٢٣.

العربية والعبرية أيضاً في اشتقاقه، ففي العبرية اشتُق من "أداما" أي الأدَمَة، وهو أحد الأقوال في العربية كما تقدّم))[1].

٤- البحث في مشتقات الألفاظ وسرّ مجيئها متنوعة، مراعاةً للتناسب اللفظي والمعنوي في كل موضوع. كما في مادة (ب س ر) إذ جاء منها لفظان في القرآن: (بَسَرَ) و(باسِرَة)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (المدثر/٢١-٢٣)، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٢-٢٥). فعلّل المعجم سرّ التنوع في هذه المادة بأنها جاءت لتناسب الفواصل بين الآيات في السور المكية التي عُرفت بالاسترسال وما فيها من الإنكار المؤكّد، فجاءت اللفظة الأولى مناسبة لصيغة (فَعَلَ): (نظرَ .. بسرَ .. أدبرَ)، وجاءت اللفظة الثانية مناسبة لوزن (فاعِلَة): (ناضرة .. ناظرة .. باسرة .. فاقرة)[2].

٥- الكشف عن العلاقات الدلالية أو التعدد الدلالي، وقد التزم المعجم بمصطلح العرب القدماء (الوجوه والنظائر) ويُراد بهما (المشترك اللفظي والترادف)[3]. منها ما ورد في لفظة (رشد) وبعد بيان دلالاتها المختلفة، يذكر المعجم أن من نظائر هذه المادة في القرآن[4]:

الهدى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٢).

والاستقامة: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود/١١٢).

---

(١) المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ١/٥٢-٥٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥/٤٦٩-٤٧٠.

(٣) ينظر: مصطلحات الدلالة العربية، د. جاسم محمد عبد العبود: ٢٤٤.

(٤) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ٢٤/٦٦٥.

والدلالة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف/١٠).

والسداد: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ (النساء/٩).

ويبدو من ذلك أن أصحاب هذا المعجم يؤمنون بوجود ظاهرة الترادف في القرآن الكريم.

ومن المشترك اللفظي ما جاء في لفظة (آل)، فذكر المعجم – نقلاً عن مقاتل – أنها على ثلاثة وجوه[١]:

الأول: بمعنى القوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (القمر/٤١)، أي فرعون وقومه القبط.

الثاني: بمعنى أهل بيت الرجل، كما في قوله تعالى: ﴿... إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ (القمر/٣٤). يعني: لوطاً وابنتاه.

الثالث: بمعنى ذرية الرجل، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/٣٣)، فآل إبراهيم: يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وآل عمران: يعني موسى وهارون اختارهم للرسالة.

٦- شرح الأعلام القرآنية لفظاً ومعنًى، وتقديم خلاصة لما ورد في مصادر التفسير والتاريخ وكتب السير ومعاجم أهل الكتاب. من ذلك لفظ (آدم)، و(آزر)، و(إبراهيم)، و(إدريس)[٢] ... وغيرها كثير.

---

(١) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ٤/٢٠٥-٢٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٧ و ٥٧ و ٨٩ و ٧٠٥.

٧- بيان سرّ الأعجاز القرآني في ضوء سياق الألفاظ، ويمثل البحث البلاغي في هذه المعجم، وهو ما جاء تحت عنوان (الاستعمال القرآني)[١]. ففي مادة (أمر) مثلاً يقف المعجم عند بعض النكات البلاغية، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿... قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف/٧١)، فيلاحظ المعجم أن النص القرآني: ((بدّل (إمراً) بـ (نُكراً) في الآية الثالثة بعدها ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (الكهف/٧٤)، فعبّر القرآن عن قتل النفس المحترمة بـ (شيئاً نُكراً)، وعن خرق السفينة بـ (شيئاً إمراً)، لأن قتل النفس ليس أمراً عجيباً؛ يرتكبه الناس كثيراً، أما خرق السفينة فشيء نادر عجيب، وهو خلاف المتوقع، ناهيك من صدوره عن عاقل حكيم))[٢]. كما يلاحظ المعجم إن ((في كسر الحرف الأول في (إمراً)، وضمّه في (نُكراً)، تناسب السياق ولطافة التعبير، لا يشعر به إلا مَن له حس مرهف في سرّ فقه القرآن وبلاغته، فإن إغراق السفينة بأهلها يوجب خذلان فاعله، وانحطاط قدره من طبقة العقلاء عند الناس، كما يبعث على رسوب السفينة بما تحمله في الماء. أما قتل النفس المحترمة، فيسفر عن إشتهار فاعله بين الناس بالجناية، وسوقه إلى العدالة، وربما يرقى المشنقة قصاصاً))[٣]، فالكسر في أول حرف من (إمراً)، وضمّه في (نُكراً) جاء مناسباً لدلالة السياق، وهي ملاحظة بلاغية صوتية دقيقة تربط بين الأصوات ومعانيها.

٨- إضافة علم جديد إلى علوم القرآن لفهم القرآن وسرّ بلاغته وإعجازه، وهو علم (فقه لغة القرآن).

---

(١) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ٢٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣١/٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٢/٣.

فضلاً عن ذلك فقد أفاد المعجم من مباحث علوم القرآن الأخرى كالمكي والمدني، والفاصلة القرآنية، والإعجاز العددي، والقراءات القرآنية، والرسم القرآني، والقصص القرآنية، كما أفاد من الدلالات النحوية لحروف المعاني وقد عبّر عنها بالأدواة والضمائر التي لها الأثر الكبير في فهم القرآن ولاسيما في فهم آيات الأحكام وتفسيرها ... وغيرها[1].

ولعل أهم ما أفاده البحث من هذه الجولة اليسيرة على ساحل بحر هذه الموسوعة الكبيرة الموسومة بالمعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته أنها موسوعة متلاطمة الأمواج، تأخذ القارئ إلى محطات علمية متنوعة، فمن النصوص اللغوية لكثير من المعجمات وأقوال اللغويين التي ينقلها المعجميون إلى البحث التفسيري الذي ينقلك إلى عالم آخر وفيه مختلف المفسرين والتفاسير وآرائهم، ثم ينتقل إلى الأصول اللغوية والمقارنة بين تلك الأصول في العربية وغير العربية من اللغات، والتنقيب عن أصول الألفاظ ولاسيما في الأعلام والألفاظ الأعجمية، واقفاً على الظواهر الدلالية التي أسماها بالوجوه والنظائر ومتأملاً بعض النكات البلاغية من تناسب للفواصل والمعاني ومراعاة السياق ... ومستأنساً بعلوم القرآن التي تعين على الكشف عن المعنى، كالمكي والمدني، والقصص القرآني، والقراءات ... وغيرها. مما يؤكد مدى الجهد العلمي المبذول في تأليف هذه الموسوعة، ويجعلها فريدة من نوعها، وهي بحق مصدر ثرٌ للباحثين، تغني وتختصر الطريق لهم من الرجوع إلى تلك المصادر والمراجع.

---

(1) ينظر: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته: ١/٢٩-٣٢.

ملحق

مصطلح القراءات الحداثوية "المعاصرة"

الدلالة والنشأة

شُغل بعض الباحثين المحدثين كثيراً في موضوع القراءات الحداثوية المعاصرة للنص القرآني، فألفت عدة كتب ودراسات وبحوث في هذا المجال، ومعلوم أنه قد اجتمعت عدة عوامل لنشوء تلك القراءات المعاصرة يجمعها عامل رئيس ومحوري واحد؛ ألا وهو تأثير الفكر الغربي على عقول بعض المثقفين العرب من دعاة التحرر والتنوير والتجديد في فهم النص الديني بشكل عام والقرآني بشكل خاص، فمثّل هذا التوجه تياراً معاكساً لما أصّله القدماء حتى بلغ الأمر إلى الدعوة لنقد التراث الديني بل لنسفه في بعض الأحيان، والخروج على القواعد الكلاسيكية للقدماء، وكان من أبرز أدوات هذه القراءات ما يسمى بـ (الهرمنيوطيقا)، أو منهج تفسير النصوص المقدسة الذي نشأ في أحضان اللاهوت المسيحي لقراءة النص المقدس، ثم انتقل إلى الفلسفة ليعم النصوص الدينية المختلفة حتى بلغ الأمر إلى النص الإسلامي، فأصبحت الهرمنيوطيقا توازي قراءة النص وفهمه في الفكر الإسلامي، وقد سلك هذا المنهج بأولئك القراء مسالك شتى، وصار هو المرتكز الرئيس الذي منه ينطلقون للتعبير عن أفكارهم وآرائهم.

وقد اتخذت هذه الدراسات لها مصطلحاً جديداً متمثلاً بـ (القراءة المعاصرة)، فصار هذا المصطلح يقابل المصطلح القديم؛ وهو (التفسير)، الذي يعني بيان مراد الله تعالى في آيات القرآن الكريم، وقد أثارت هذه الدراسات الجديدة إشكاليات خطيرة، وفتحت الباب للتأويل المنحرف، مما أدى إلى الابتعاد عن جوهر القرآن ومقاصده التي نزل من أجلها، فبدل أن تعنى هذه الدراسات بظاهر النص القرآني وبيان دلالاته ومعانيه التي تخدم الواقع وتحل مشكلاته، انشغلت بكثرة التأويلات البعيدة وغير المعقولة، وانحرفت عن أهدافها، مما يعني أن هذه الدراسات شكلت خطورة على الفكر الإسلامي، ((وتظهر خطورة هذا المنحى الفكري جليّةً في محاولات ليّ أعناق النصوص القرآنية والخروج بها عن مفاهيمها الواضحة بادي الرأي لتتلاءم مع توجهات فكرية معينة، خاصة تلك التي ظهرت في بعض الدراسات القرآنية بما

يمكن أن نطلق عليه القراءة العصرانية للقرآن، التي تعتبر المحضن الأول للتأويل الحر المؤسس وفق الخبرات الشخصية والتجارب الذاتية))[1].

من أجل ذلك فإن البحث في المصطلح الجديد الذي وسم تلك الدراسات يُعد من الأهمية بمكان، إذ يقف عند دلالة هذا المصطلح ونشأته وتطوره، مقارناً بين الاستعمال القديم والحديث له، مما يكشف عن الجذور الأولى لهذا التيار الخطير، ويعرّي تلك الأفكار البعيدة عن روح الإسلام.

علم المصطلح:

تُعد العربية من اللغات الحية التي تنمو وتتطور مع كل مرحلة حضارية يمر بها المجتمع العربي، وتواكب الحياة وترفدها بالمفردات الجديدة التي يفضي إليها التقدم الحضاري بكل صوره، تلك المفردات الجديدة هي التي تُعرف بالمصطلحات[2].

والمصطلح في اللغة مأخوذ من الصُّلْح، ومن معانيه التصالح والتسالم[3]، ((فكأن الناس اختلفوا عند ظهور مدلول جديد، على تسميته، فذهب فريق من القوم إلى إعطائه اسماً، واقترح فريق آخر دالاً مغايراً، وارتأى فريق ثالث تسمية مباينة؛ وكان من نتيجة هذا اختلاف القوم واحتدام ما بينهم، إلى أن تصالحوا وتسالموا على تسمية واحدة لذلك المدلول))[4].

---

[1] – قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة، د. رقية طه جابر العلواني، بحث أُلقي في ندوة دراسة التطورات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة، بيروت، ٢٠٠٦م، ص: ٢.

[2] – ينظر: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، د. ممدوح محمد خسارة: ٧.

[3] – ينظر: لسان العرب، (صلح): ٥١٧/٢.

[4] – علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية: ١١.

ومع تقدم العلم والحاجة الدائمة إلى وضع المصطلحات صار للمصطلح علم يُعرف بـ (علم المصطلح) وهو من أحدث أفرع علم اللغة التطبيقي الذي يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها[1].

مصطلح (القراءة):

(القراءة) في اللغة: من قَرَأَه يَقْرَؤُه قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، فهو مَقْرُوءٌ، وقَرأتُ الكتابَ قِراءَةً وقُرْآناً، ومعنى قَرَأْتُ القُرآن: لَفَظْتُ به مَجْمُوعاً أَي ألقيتُه[2].

وقد أطلق مصطلح (القراءة) في عصر التنزيل على ((اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما))[3]. فهو وجه من محتملات النص القرآني[4]، ومذهب من مذاهب النطق به يذهب إليه أحد القرّاء ويخالف غيره[5].

وهناك دلالة أخرى للقراءة غير شائعة الاستعمال في العربية وهي ((طريقة خاصة لتأويل ما يقرأه المرء لنصٍ فهمه غيره فهماً مختلفاً))[6]، فيُقال مثلاً: قراءة جديدة لنهج البلاغة؛ بمعنى: تأويل جديد له.

وتفيد النصوص التي وردت فيها المادة (قرأ) في العربية المعاصرة أنها ذات دلالتين؛ الأولى: هي (الدلالة الكلامية) أو فعل القراءة، أي تحويل النص المكتوب إلى أصوات منطوقة، أما الدلالة الثانية: ففيها توسع لمعنى (القراءة) ليشمل تحويل كل ما هو مجهول إلى معلوم عن طريق الفهم والتأمل والبحث والاستنتاج، ويمكن فهم العلاقة بين المعنيين من خلال صفتين

---

[1] – ينظر: علم المصطلح، د. محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع القاهرة، م/٤، ج/٥٩،: ٦٢/٥٩.

[2] – ينظر: لسان العرب، (قرأ): ١٢٨/١-١٢٩.

[3] – معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال عالم مكرم: ١٢٦/١.

[4] – ينظر: تلخيص التمهيد: ٢١٣/١.

[5] – ينظر: مباحث في علوم القرآن/ القطان: ١٥٣.

[6] – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس: ٢٨٧.

في كل منهما: صفة التحويل، ففي المعنى الأول تحويل الألفاظ المكتوبة إلى أصوات منطوقة، وفي المعنى الثاني تحويل الشيء المجهول إلى المعلوم، وصفة التعرّف التي تتضمنها كلا القراءتين، القراءة بالنطق والقراءة بالفهم والتأمل[١].

والعلاقة وثيقة بين الدلالتين، فلا يمكن الوصول إلى الفهم والتأمل إلا من خلال فعل القراءة ((الذي تنشط وتتفاعل عناصره خلف العين أي في دماغ الإنسان القارئ، وهو مظهر شديد التعقيد تسهم في تشكيله عمليات عقلية كثيرة ومعقدة))[٢]، على أن تكون تلك القراءة تأملية متفحصة تنطلق من العمليات الإدراكية وتعتمد على التذكر والتعرف والإدراك، قصد التركيز على فهم دلالات الخطاب اللغوي ومضامينه[٣].

وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من القراءة هو عملية واعية، وهي تختلف عن الإدراك العفوي العارض لمحتوى نصٍ ما، فهي تمرُّ عبر عمليات ذهنية تتمثل بالإدراك، والتعرف، والفهم، ثم التفسير[٤]، ((وهذا ما يجعل فعل القراءة ظاهرة مركبة، ذات مستويات عديدة، يسْلمنا كل مستوى إلى المستوى الذي يليه حتى تتم عملية الفهم؛ لأن الهدف من القراءة، في نهاية المطاف، هو فهم المقروء))[٥].

وفيما بعد قام بعض الحداثيين بربط مصطلح "القراءة" بالنص القرآني ليحل محل مصطلحي (التفسير والتأويل)، وهو أمر خطير طبعاً؛ لأنه يفتح الباب واسعاً أمام التخمينات والشطحات وقد صح قول أحد الباحثين: ((إن ربط مصطلح "القراءة" بمفهومه الحداثي

---

[١] – ينظر: الدلالة والكلام، د. محمد محمد داود: ١٠٥.

[٢] – مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي: ٢٥.

[٣] – ينظر: تعليم وتعلّم اللغة العربية وثقافتها، المصطفى بن عبد الله: ٢٧١.

[٤] – ينظر: القارئ والنص (من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا)، سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب – الكويت، العددان: الثالث والرابع، مارس/ ١٩٩٥، ص: ٢٥٤.

[٥] – مدخل إلى علم النص: ٢٦.

بالقرآن الكريم، على أنه بديل أو قريب من مصطلحات كالتأويل والتفسير والتدبر يحتاج إلى كثير من التحرز والتدقيق))[1].

ويرى بعض الحداثيين أن مصطلحي (التفسير والتأويل) لا يعبران عن الدلالات اللامتناهية للنص القرآني؛ لذلك وجب تجاوزهما إلى مصطلح "القراءة"[2].

وقد شاع مصطلح (القراءة) في المرحلة المعاصرة من التفسير وتطوّر على يد الباحثين الحداثيين، مستعينين بمعطيات الدرس النقدي واللساني الحديث، يقول الدكتور قطب الريسوني: ((تميَّزت هذه المرحلة بشيوع مصطلح (القراءة) بوصفها موقفاً من النص، يرادف (التأويل) و(التحليل) و(الاستبطان). بيد أن (القراءة) شُحنت في مجال الدرس القرآني بدلالة خاصة تحيل على استثمار مناهج النقد الأدبي واللسانيات الحديثة، ولذلك لم يتردد الباحثون المعاصرون في نعتها بـ (الحداثية)، وهو نعت صادق يعبّر عن افتنان هذا المنحى التأويلي بالنموذج الغربي، وجرّه بعجره وبجره إلى ساحة التفسير))[3].

ومصطلح "القراءة المعاصرة" مصطلح جديد كلياً، جديد على مستوى الأدوات والمناهج؛ إذ يحيلنا إلى اللسانيات الحديثة، واللسانيات هي في المحصلة مناهج ونظريات تمثل بمجموعها أدوات بحث، وتعود بدايات ظهور هذا المصطلح إلى الأربعينيات مع مدرسة الأمناء في مصر، وقد يكون الفضل للكاتب السوري محمد شحرور في وضع مصطلح "القراءة المعاصرة" نظراً لما أثارته قراءته من ضجيج[4].

---

[1] – مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، د. فاطمة الزهراء الناصري، (انترنت): ملتقى أهل التفسير.

[2] – ينظر: في قراءة النص الديني، عبد المجيد الشرفي: ٩٤.

[3] – النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د. قطب الريسوني: ٢٠٧.

[4] – ينظر: حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة، (انترنت): ملتقى أهل التفسير.

مصطلح (المعاصرة):

المعاصرة: مصدر عاصَرَ، ومن معانيها الحداثة والجدة، والمعاصرة: ((معايشة الحاضر بالوجدان والسلوك والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيّه))[1].

ويُراد من المعاصرة في فهم القرآن وتفسيره: ((ضرورة التوفر على أسلوب تفسيري جديد يُراعي الذهنية الموجودة ومستوى الثقافة العامة في مجتمعاتنا، ويأخذ قضايا الواقع بنظر الاعتبار))[2].

عوامل نشأة المصطلح:

في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين قام بعض الباحثين المسلمين من العلمانيين والمستشرقين الجدد بمحاولات تفسيرية وأفهام جديدة ومتحررة للنص القرآني الكريم، فسمّيت محاولاتهم بالقراءات المعاصرة، وحاول هؤلاء الباحثون أن يتجاوزوا بقراءاتهم التفاسير السابقة والكلاسيكية للنص القرآني، تدفعهم هواجس مختلفة عن تلك الهواجس التي انطلق منها علماء القرآن والمفسرون طوال القرون الماضية، وقد أسهمت عوامل وهواجس عدة في نشأة هذه القراءات المعاصرة والمتحررة للقرآن والمعارف الإسلامية في الوسط الإسلامي، كان أبرزها ما يأتي[3]:

١- هاجس العلوم والمعارف البشرية التي غيّرت كثيراً من الهندسة المعرفية للمعارف السائدة، ولاسيما العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية، إذ تولت هذه العلوم البحث والنظر في الدين والنصوص الدينية والقضايا المتصلة بها، وذلك انطلاقاً من النظرة الظاهرية لتلك

---

[1] - معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، (ع ص ر): ٢/ ١٥٠٨.

[2] - المعاصرة القرآنية: ١٨٦.

[3] - ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: ٢٥١-٢٥٣.

الأمور، فعلم النفس مثلاً اقتطع من تلك الظاهرة وجهها الذاتي، وعلم الاجتماع اقتطع من الظاهرة الدينية وجهها الموضوعي، وتناول علم التاريخ نشأة الأديان، وأشكالها وتحولها وانتشارها، وانحطاطها في إطار الحياة الاجتماعية في ضوء النظرة المقارنة لتاريخ الأديان، وهكذا في بقية العلوم والمعارف المعاصرة، وجعلها منطلقاً في البحث عن الدين والفكر الديني ولاسيما النص الديني.

٢- هاجس دراسات الاستشراق حول الدين بشكل عام، والإسلام بشكل خاص، إذ أدت هذه الدراسات دوراً كبيراً في صياغة ذهنية كثير من الدارسين المسلمين المعاصرين في البحث عن الدين، كما أن نتاجات الاستشراق في غالبها كانت بمثابة دراسات تطبيقية لمعطيات العلوم والمعارف الإنسانية التي سبق الكلام عنها، فتحولت إلى نماذج عمل بل "أنموذج معرفي" لكثير من الدراسات اللاحقة لباحثين مسلمين ذوي خلفية معرفية غربية في البحث عن الدين والنص الديني.

٣- عاملا الزمان والمكان، فقد عدّ كثير من الباحثين من أصحاب القراءات المعاصرة النتاجات الفكرية والمعارف الدينية السائدة لدى المسلمين أنها مخلّفات من الماضي، ووصفوا النتاجات المتأخرة على نمط الماضي بأنها تجسّد موقفاً محافظاً وماضويّاً بل متحجّراً، فضلاً عن اعتقادهم بوجود مسافة فكرية شاسعة بين ما أصّله القدماء وبين المعتقد الديني السائد في المجتمعات المعاصرة، وهذا ما يتطلب – من وجهة نظرهم – النظرة التاريخية إلى الدين وتطوره.

الخاتمة:

وفي الختام لابد من إثبات أن النص القرآني ينفتح على كل الاتجاهات التفسيرية ما لم تمس في قدسيته وإعجازه، فقد اتضح في البحث أن تعدد الاتجاهات المعاصرة قد نتج عن كل منها لون وذائقة معينة لهذا النص، مما أدى إلى إنتاج فهم جديد مغاير عن غيره، فالاتجاه الموضوعي حاول أن يتعايش مع الواقع ويحل أزماته في ضوء استنطاق القرآن، واستظهار ما فيه من متطلبات العصر، وأهم ما ركّز عليه هو هدف التغيير والإصلاح، وفي الاتجاه الأدبي وجدنا (المنهج البياني) قد تفنن في ملامسة الألفاظ القرآنية وإبراز جمالياتها ومعانيها، ثم أعقبه منهج آخر هو (المنهج البنائي) الذي أضاف إلى ما قبله، ووسّع من هذا الاتجاه بالنظرة إلى النص نظرة بنائية شمولية، ومن جانب آخر جاء بتذوق صوتي وصوري جمالي، أما الاتجاه اللغوي فقد أخذ منحى آخر في الدراسات القرآنية المعاصرة، وكان معجم (فقه لغة القرآن وسر بلاغته) أنموذجاً تطبيقياً لهذا الاتجاه؛ لكونه شهد تطوراً على مستوى البحث اللغوي القرآني في وقتنا المعاصر، فضلاً عن حالة الموسوعية التي اتسم بها في بحث الألفاظ القرآنية. فأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض وأما الزبد فيذهب جفاء، والزبد أعني به التوجهات الحداثوية التي حاولت أن تعامل النص القرآني معاملة النصوص البشرية، فكانت لنا وقفة عند دلالة مصطلح (القراءة المعاصرة)، وعوامل نشأته في ملحق من الكتاب.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا لخدمة كتابه الكريم، وأن لا يؤاخذنا بما نسينا أو أخطأنا، إنه ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

أحمد جاسم ثاني

شباط/ ٢٠١٩م

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، ط/١، ١٩٩٦م.

٢- الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، الدكتور طه جابر العلواني، قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/١، ٢٠٠٣م.

٣- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، دار ومطابع الشعب – القاهرة، ١٩٦٠م.

٤- أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط/١، ٢٠٠٩م.

٥- الإسلام هو الحل، الشيخ جعفر حسن عتريسي، دار الهادي، بيروت، ط/١، ١٤٢٨هـ.

٦- أسئلة وأجوبة قرآنية، لجنة التأليف وإعداد المناهج في دائرة الشؤون القرآنية مؤسسة البلاغ.

٧- أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر، أحمد عبد الله أبو زيد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط/١، ٢٠١١م.

٨- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط/٣، ١٩٨٤م.

٩- إعجاز القرآن، د. رضا مؤدب، دار المصطفى (ص) العالمية، ط/١، ١٤٣٠هـ.

١٠- الألسنية، محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون، دار الفارابي، بيروت، ط/١، ٢٠٠٥ م.

١١- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط/٢، ١٤٠٣هـ.

١٢- بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط/١، ٢٠١٠م.

١٣- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، ١٩٥٧م.

١٤- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ط/٣، ٢٠٠٣م.

١٥- التبيان في أقسام القرآن ابن قيم الجوزية، دار الفكر، (د.ت).

١٦- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط/١، ١٤١٧هـ.

١٧- التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، الشيخ علي آل موسى وآخرون، دار المحجة البيضاء، ط/، ٢٠٠٩م.

١٨- التدبر في القرآن، السيد محمد رضا الشيرازي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/٢، ٢٠١٠م.

١٩- التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط/٧، ٢٠٠٤م.

٢٠- التفسير البنائي للقرآن الكريم، (بحث) د. محمود البستاني، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ع: ١، ٢٠١٠م.

٢١- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط/١، ١٤٢٤ هـ.

٢٢- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة، ط/٧، ١٩٧٧م.

٢٣- تفسير سورة الحديد، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ط/١، ٢٠٠٦م.

٢٤- تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم، مطبعة شريعت، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط/١، ١٤٢٠هـ.

٢٥- تلخيص التمهيد، الشيخ محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، ط/١، ٢٠١١م.

٢٦- حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة، ملتقى أهل التفسير، (انترنت): vb.tafsir.net/tafsir .

٢٧- حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي، صائب عبد الحميد، الغدير للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط/٢، (د.ت).

٢٨- حوارات، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة دار التبليغ الإسلامي، دائرة الإعلام.

٢٩- خطرات في اللغة القرآنية، د. فاخر الياسري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت).

٣٠- الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط/٢، ١٤٢٥هـ.

٣١- دراسات في تفسير النص القرآني، أبحاث في مناهج التفسير، مجموعة من الباحثين، (الجزء الأول)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ، ط/٢، ٢٠١٠م.

٣٢- دراسات في علوم القرآن الكريم، د. محمود البستاني، مدينة العلم، مطبعة البقيع، قم، ط/١، ١٤٢٧هـ.

٣٣- دروس في التفاسير ومناهج المفسرين، فارس علي العامر، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، طهران، ط/١، ١٤٢٨هـ.

٣٤- الدلالة والكلام دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣٥- دور العقيدة في بناء الإنسان، مركز الرسالة، مركز الرسالة، قم، ط/١، ١٤١٨هـ.

٣٦- ربع قرن مع العلامة الأميني، حسين الشاكري، ط/١، ١٤١٧هـ.

٣٧- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، ساعدت جامعة الكويت على نشره، الكويت، ط/١، ١٤٠٢هـ.

٣٨- علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، د. ممدوح محمد خسارة، دار الفكر، دمشق، ط/١، ٢٠٠٨م.

٣٩- علم المصطلح، د. محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع القاهرة، م/٤، ج/٥٩، (د.ت).

٤٠- علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة النخيل، النجف الأشرف، ط/٥ ، ٢٠١٠م.

٤١- على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات، ط/١، ٢٠٠٢م.

٤٢- الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٤، ١٣٧٩هـ.

٤٣- فلسفة مرجعية القرآن المعرفية في إنتاج المعرفة الدينية، نجف علي ميرزائي، ترجمة: د. دلال عباس، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط/١، ٢٠٠٨م.

٤٤- فهم القرآن الكريم، (بحث) سعيد حماد، مجلة مآب، س٢، ع٧، حزيران/ ٢٠٠٨م.

٤٥- الفهم المتجدد لآيات القرآن المجيد في ضوء منهج التفسير البنائي، حوار مع الدكتور محمود البستاني. (انترنت) موقع: دار السيدة رقية: www.ruqayah.net .

٤٦- في قراءة النص الديني، عبد المجيد الشرفي وآخرون، الدار التونسية للنشر، ط/٢، ١٩٩٠م.

٤٧- القارئ والنص (من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا)، سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب – الكويت، العددان: الثالث والرابع، مارس/١٩٩٥م.

٤٨- قراءات معاصرة في النص القرآني، مجموعة من المؤلفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ، ط/١، ٢٠٠٨م.

٤٩- قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة، د. رقية طه جابر العلواني، بحث ألقي في ندوة دراسة التطورات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة، بيروت، ٢٠٠٦م.

٥٠- القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الولاء، بيروت، ١٤٣١هـ.

٥١- القرآن في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، السيد هاشم الموسوي، مركز الغدير، (د.ت).

٥٢- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، ط/٢، ١٣٨٨هـ .

٥٣- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، قم، ط/١، ١٤٠٥هـ.

٥٤- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م.

٥٥- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١، (د.ت).

٥٦- مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط/١، ٢٠٠٨م.

٥٧- المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، رابطة أهل البيت (عليهم السلام) الإسلامية العالمية، مؤسسة الثقلين الثقافية، دمشق، (د.ت).

٥٨- مشاعل في العتمة، إضاءات عن روّاد الوعي الإسلامي الحديث، حسن السعيد، دار المنتدى، ٢٠٠٩م.

٥٩- مصطلحات الدلالة العربية- دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، د. جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١ ، ٢٠٠٧ م.

٦٠- المعاصرة القرآنية (بحث)، جواد علي كسار، كتاب دراسات قرآنية، سلسلة بحوث ثقافية تصدرها مجلة المنهاج، القسم الثاني، مجموعة من الباحثين، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط/١، ١٤٢٨هـ.

٦١- معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال عالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، ط/٢، ١٩٨٨م.

٦٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط/١ ، ٢٠٠٨م.

٦٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م.

٦٤- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة، ط/٢، ١٤١٨هـ.

٦٥- المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته، تأليف وتحقيق قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية، بإرشاد وإشراف الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط/٢، ١٤٢٧هـ.

٦٦- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط/٥، ١٤٢٨هـ.

٦٧- مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، د. فاطمة الزهراء الناصري، (انترنت: ملتقى أهل التفسير).

٦٨- مناهج التفسير واتجاهاته، محمد علي الرضائي، تعريب: قاسم البيضاني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط/٣، ٢٠١١م.

٦٩- المناهج التفسيرية في علوم القرآن، العلامة المحقق جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط/٣، ١٤٢٦هـ.

٧٠- منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرقي، مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث، قم، ط/١، ١٤٢٩هـ.

٧١- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، ط/١، (د.ت).

٧٢- نشأة التشيع والشيعة، السيد محمد باقر الصدر، تح: الدكتور عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مطبعة قدس، ط/٢، ١٤١٧هـ.

٧٣- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٧٤- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د. قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط/١، ٢٠١٠م.

٧٥- النعيم نيوز على الشبكة العالمية: http://news.alnaeem.tv .

٧٦- الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ط/٤، ١٤٢٩هـ.